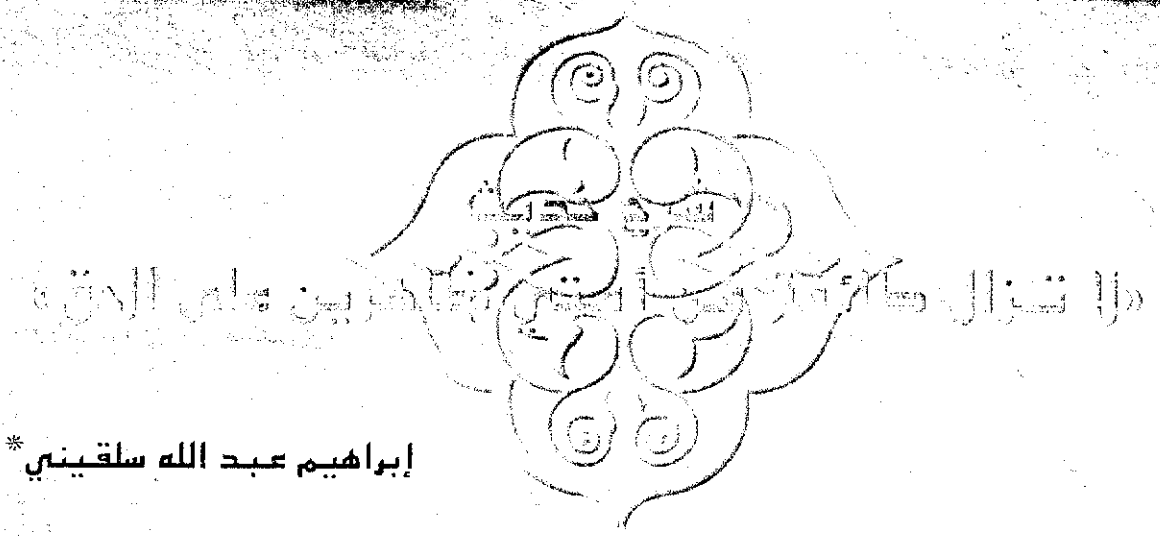


«لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق»

إبراهيم عبد الله سلقيني*

التعريف بالبحث

يدرس هذا البحث حديث النبي ﷺ: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق» من عدة جوانب هي:

١- مكانته من حيث الثبوت، أ قطعي هو أم ظني؟

٢- ألفاظ الحديث وعباراته.

٣- شرح معاني مفرداته، وبالتالي يزول ما علق في الأذهان من لبسٍ مع غيره من الأحاديث.

٤- بيان مقصود الحديث وغايته، ليعلم كل مسلم منزلته من هذه المكرمة العظيمة التي أخبر عنها المصطفى ﷺ لتلك الطائفة التي حملت هَمَّ الدين، في عصر انتشرت فيه وسائل التقنية، فدب معها الكسل والخمول، وفشا إيثار الدعة والراحة على العلم والعمل.

مسترشداً في ذلك بمنهج العلماء الكبار شراح الحديث وطريقتهم، في النقل، والاستنباط، والجمع، والترجيح.

سائلاً المولى عز وجل أن ييسر لي ولقارئه الانتفاع بصوابه، وأن يكون فيه النصح والتصويب لي ممن رأى فيه خطأً، وأن يجعلنا جميعاً من تلك الطائفة.

* إمام وخطيب بدائرة الأوقاف والشؤون الإسلامية بدبي، ولد في مدينة حلب بسوريا عام (١٣٩٧هـ-١٩٧٧م)، وحصل على درجة البكالوريوس من كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - الأحساء عام (١٤١٩هـ-١٩٩٨م) بتقدير ممتاز، وحصل على درجة الماجستير في الدراسات الإسلامية من كلية الإمام الأوزاعي ببيروت عام (١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م)، وعنوان رسالته «الهجرة وأحكامها: دراسة شرعية لواقع الهجرة في العصر الحديث».

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيد المرسلين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين . وبعد :

فإن موضوع هذا البحث هو حديث النبي صلى الله عليه وسلم : « لا يَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ حَتَّى يَأْتِيَهُمْ أَمْرُ اللهِ وَهُمْ ظَاهِرُونَ »(١) . وفي روايةٍ لمسلم : « لا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الحَقِّ لا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ وَهُمْ كَذَلِكَ »(٢) .

وقد أوَّلَ بعضُ الكتاب الطائفة في هذا الحديث بالفرقة الناجية، وأوَّله آخرون بالغرباء . هكذا أولوا الحديث إجمالاً دون الرجوع إلى أقوال العلماء وتأويلاتهم، ودون أن يلجوا في دقائق ألفاظه ومعانيه .

فرأيت من الواجب عليَّ أن أشرح الحديث بما يميز هذه الطائفة التي يصدق فيها قول الله تعالى : ﴿ **مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً** ﴾(٣)، وبما يزيل اللبس بين الأحاديث من وجه آخر .

تلك الطائفة التي لم تبلغ مكانتها بالادعاء، وإنما حازته بالعلم والعمل .

تلك الطائفة التي كثر أدعياؤها في عصرنا مستندين إلى هذا الحديث، مخالفين مجموع النصوص التي تدعو إلى الوحدة وعدم التفرق، بل مخالفين معنى هذا الحديث أيضاً . فحفظوا نصاً دون غيره من النصوص، ثم زادوا على ذلك جهلاً بمعناه، حتى أقاموا فرقاً وجماعات .

---

(١) صحيح البخاري (١٧ / ١٢٣) في كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة : باب قول النبي صلى الله عليه وسلم : « لا تزال طائفة ... »، برقم (٧٣١١) .

(٢) صحيح مسلم (٧ / ٧٤) في كتاب الإمارة : باب قوله صلى الله عليه وسلم : « لا تزال طائفة .. »، برقم (١٩٢٠) .

(٣) سورة الأحزاب : ٢٣ .

تلك الصورة التي رأيت الحديث يعيشها دفعتني لبحثه ودراسته، لأفهم معناه أولاً، ثم لأقدّم المعنى الصحيح للقراء وطلبة العلم ثانياً، ثم ليُقَيِّمُوا ما كتبت ثالثةً.

وقد اقتصرت في دراسة طرق الحديث على الكتب الستة، إذ صحة الحديث إجمالاً ظاهرة من ورود الحديث في الصحيحين، والغرض من إيراد الطرق بيان درجة الحديث إجمالاً أ قطعي هو أم ظني، وهذا حاصل في الكتب الستة (صحيح البخاري، وصحيح مسلم، وسنن الترمذي، وسنن النسائي، وسنن أبي داود، وسنن ابن ماجه) عدا غيرها من الكتب، فلم أر حاجة للتطويل .

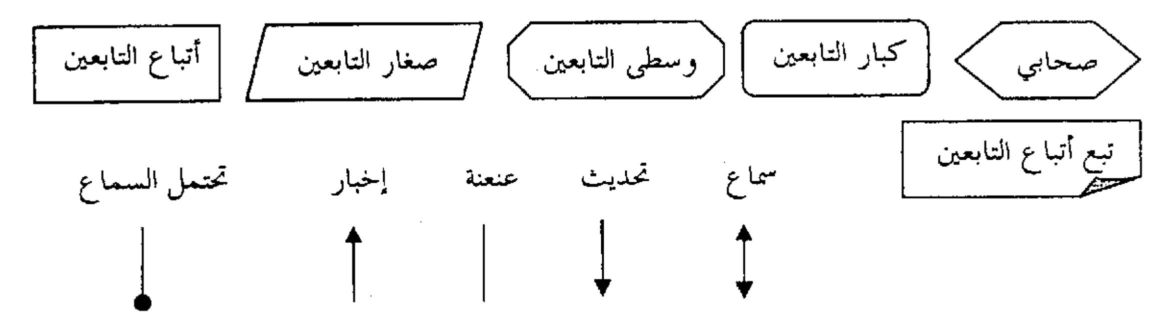
أما شرح الحديث فقد اعتمدت فيه رواية أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه التي رواها أحمد أساساً، لاشتمالها على معظم ألفاظ الحديث، ثم قارنتها مع غيرها من الروايات في الكتب الستة وغيرها، ونظرت فيما قاله العلماء في شرحها(١) .

أما الأحاديث التي ظاهرها التعارض مع هذا الحديث، فقد أشرت إليها، ثم جمعت أقوال العلماء فيها، ثم درست تلك الأقوال وجمعت بينها قدر الإمكان، ثم رجحت بينها إن لم يمكن الجمع .

(١) لم أقتصر في شرح الحديث على الكتب الستة، لأن الشرح يلزمه دراسة الروايات .

طرق الحديث

اقتصرت في ذكر طرق الحديث على الكتب الستة. إذ التوصل إلى تواتر الحديث حاصل من هذه الكتب كما سيأتي، فكيف إن انضم إليها غيرها. ومن ثَمَّ لم أر بعد ذلك حاجة للإطالة . وفيما يلي معاني الرموز المستخدمة في الرسوم البيانية لطرق الحديث:



والناظر في تلك الرموز يجد أنني قسّمت التابعين إلى ثلاث طبقات: كبرى، ووسطى، وصغرى . وقد أخذت ذلك التقسيم من كتاب - الطبقات - للإمام مسلم، حيث اقتصر - رحمه الله - في كتابه على ذكر الصحابة والتابعين دون مَنْ بعدهم من أتباع التابعين وتبع أتباع التابعين. وأفرد الصحابة في طبقة واحدة، وقسم التابعين إلى ثلاث طبقات .

وأخذت اسم الراوي ونسبته ووفاته من كتاب - تهذيب التهذيب - لابن حجر، كما سيأتي بيان أسمائهم وتواريخ وفياتهم مشفوعاً بأرقام الصفحات، ثم توصلت من النسبة التي ذكرها ابن حجر إلى طبقاتهم في كتاب الإمام مسلم . ولم أذكر أرقام الصفحات والمواضع في طبقات مسلم لأن غاية الرسم البياني هي الوضوح والاختصار، ومع تطويل الهوامش يفوت المقصود .

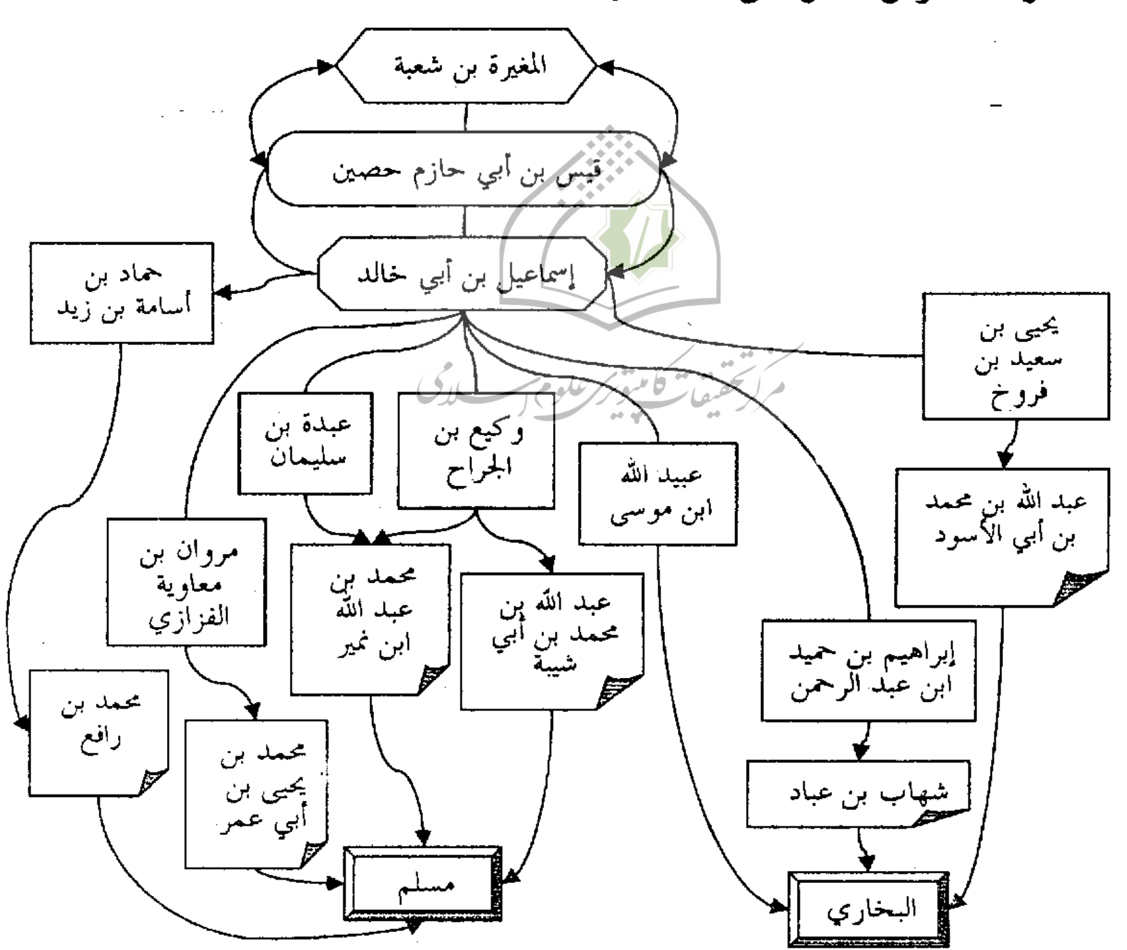
أما مَنْ أعقب التابعين من أتباع التابعين وتبع أتباع التابعين فقد أدرجتهم دونما تقسيم، لأن تقسيمات علماء رجال الحديث تفاوتت في ذلك، والتعمق في ذلك لا حاجة إليه إلا في الدراسات المتعمقة في سند كل رواية من روايات الحديث، وهذا غير داخل في مجال بحثي، إذ دراستي عامة في مجمل الحديث من حيث قوته ومعناه، ومعلوم أن الدراسة المتعمقة لسند حديث واحد تكتب فيه مؤلفات .

أما رموز طرق التحمل فقد أدرجت رمزاً لكل عبارة من العبارات التي ذكرها أصحاب الكتب الستة في سند الحديث، ليسهل على مَنْ أراد من الباحثين التعْمقَ في دراسة كل سند من الأسانيد منفرداً أن يميز الروايات التي فيها تدليس عن غيرها .

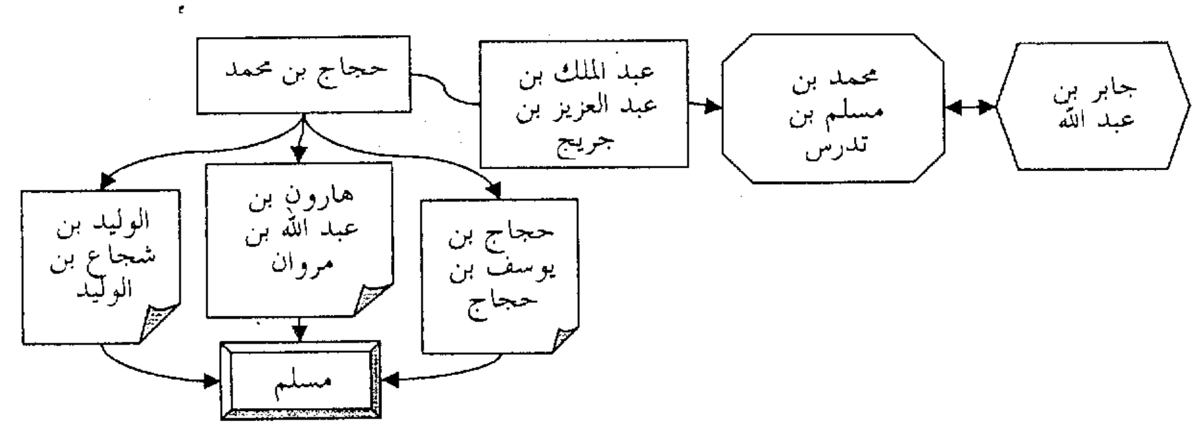
سائلاً المولى عز وجل أن يجعل في تلك الدراسة المجملة النفع والفائدة، وأن يوفق الباحثين لاستدراك ما اعترى كتابتي من نقص أو خلل .

وفيما يلي الرسوم البيانية لطرق الحديث :

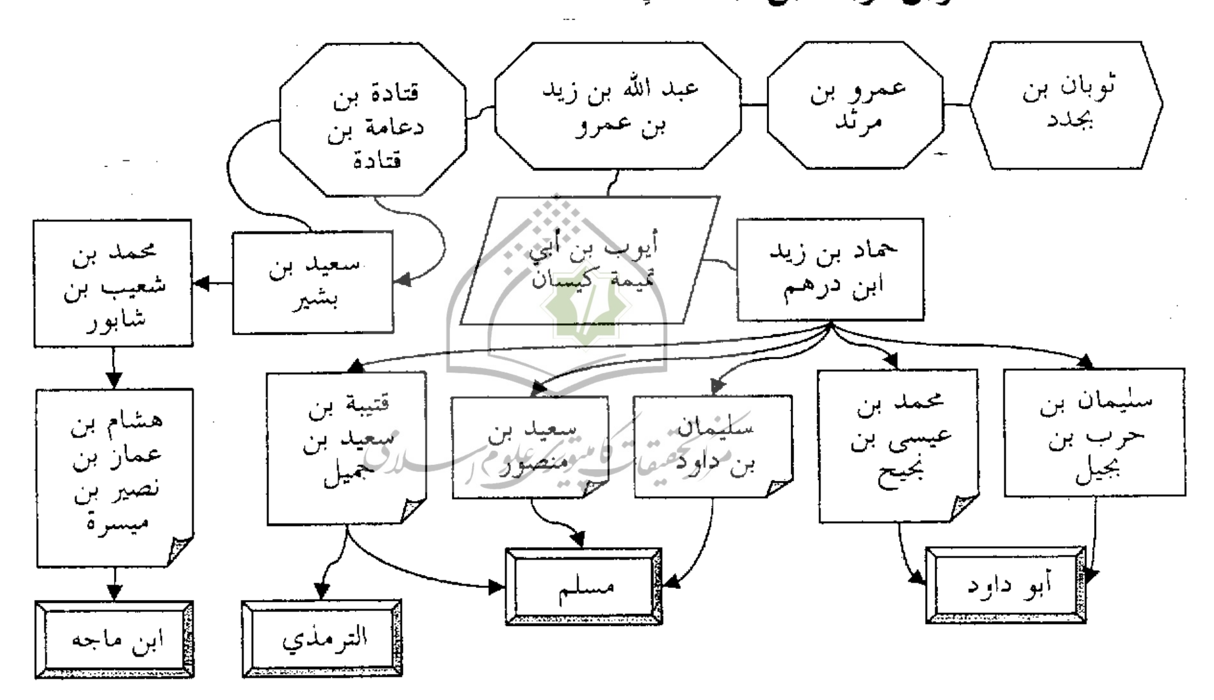
الأول : طريق المغيرة بن شعبة رضي الله عنه :



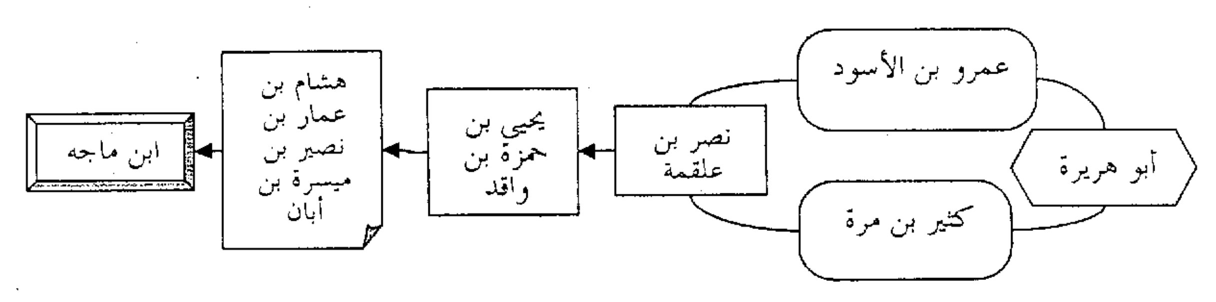
الثاني : طريق جابر بن عبد الله رضي الله عنه :



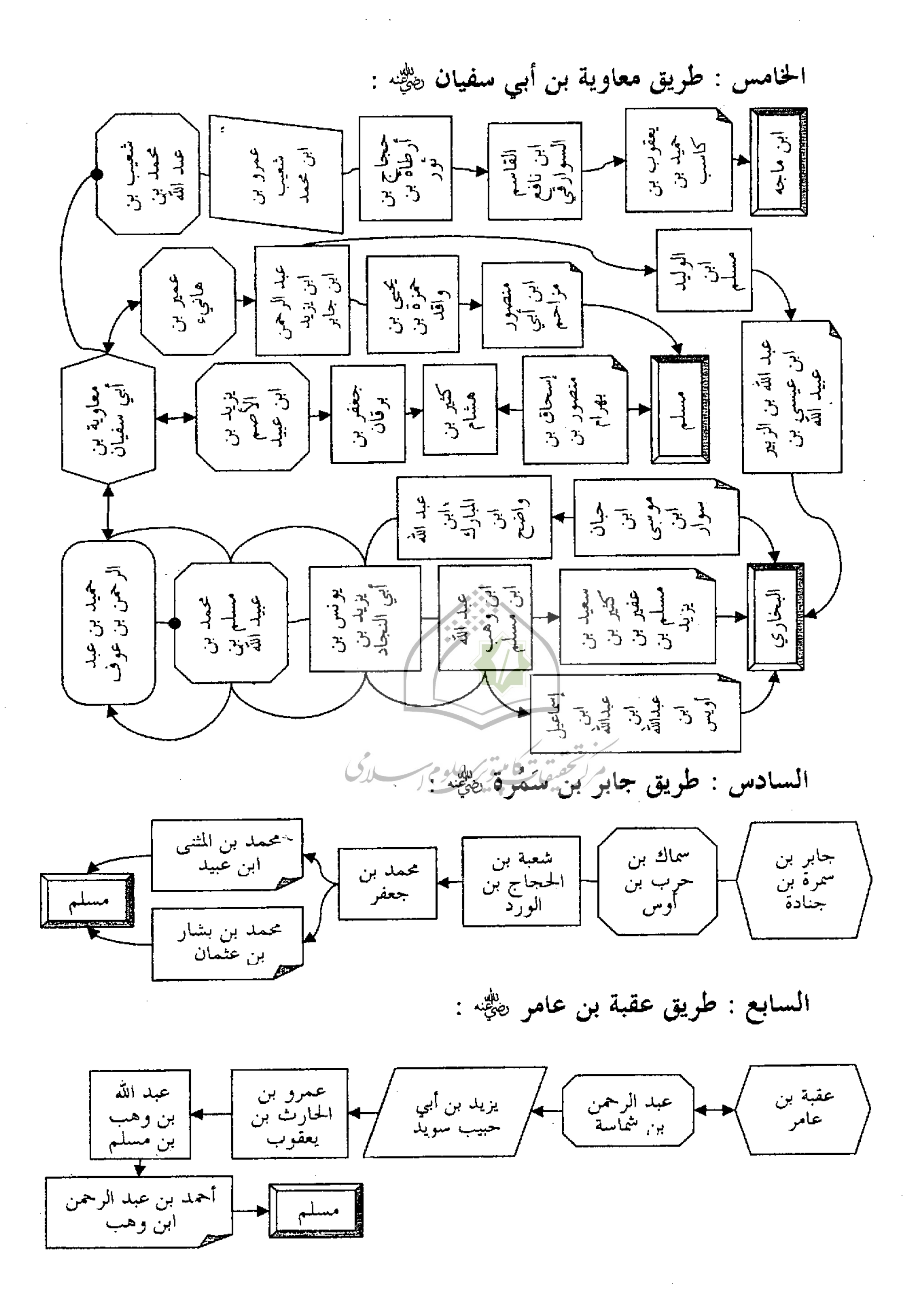
الثالث : طريق ثوبان بن بجدد رضي الله عنه :



الرابع : طريق أبي هريرة رضي الله عنه :



الخامس : طريق معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه :



السادس : طريق جابر بن سمرة رضي الله عنه :

السابع : طريق عقبة بن عامر رضي الله عنه :

الثامن : طريق سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه :

سعد بن أبي وقاص

عبد الرحمن بن مل بن عمرو

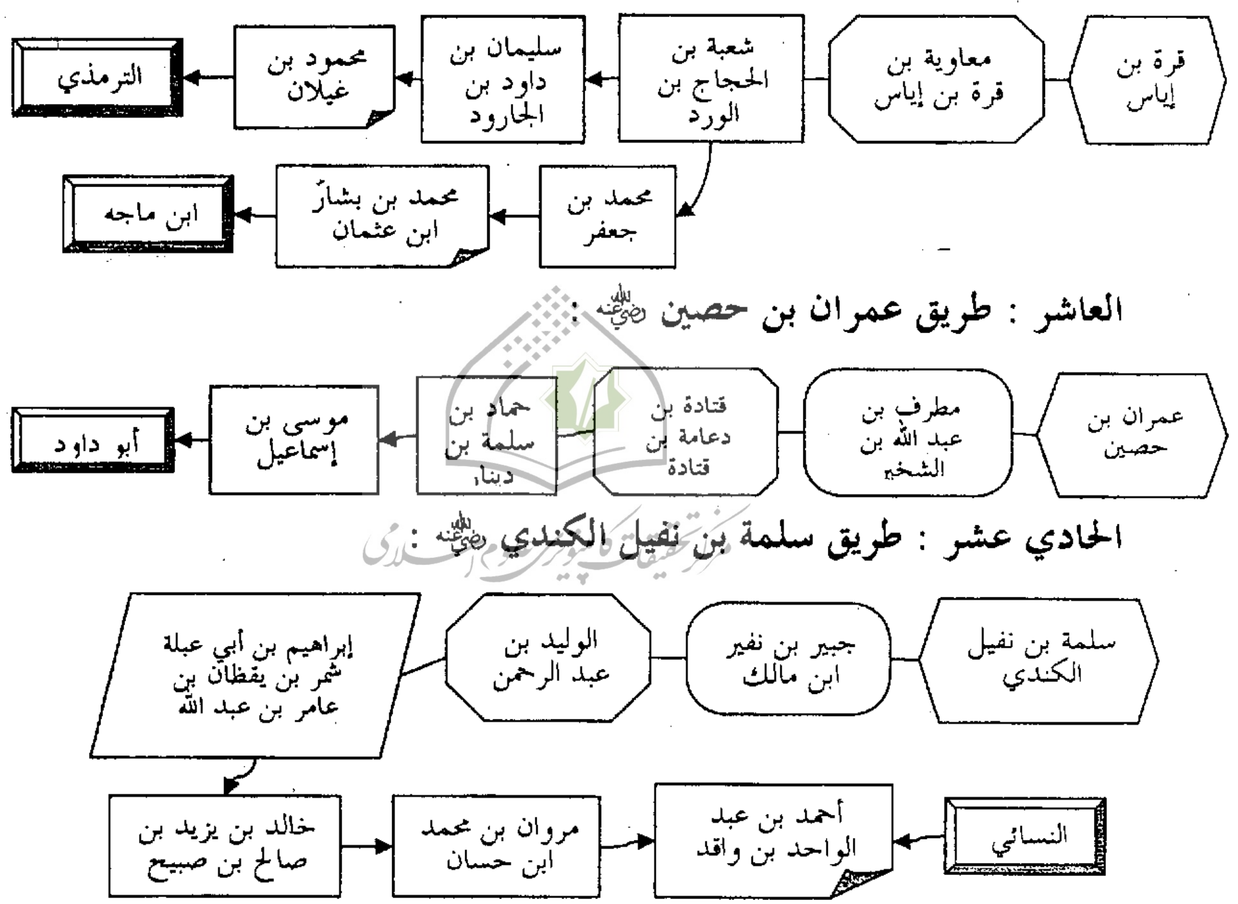
داود بن أبي هند دينار

هشيم بن بشير بن القاسم بن دينار

يحيى بن يحيى بن بكير بن عبد الرحمن

مسلم

التاسع : طريق قرة بن إياس رضي الله عنه :



مما سبق نرى أن الحديث رواه في الكتب الستة جمع من تبع الأتباع، عن جمع من أتباع التابعين، عن جمع من التابعين، عن جمع من الصحابة رضي الله عنهم، وفيما يلي رواة الحديث في كل طبقة :

١- من الصحابة أحد عشر صحابياً: ثوبان بن بجدد (ت: ٥٤ هـ)، وجابر بن سمرة ابن جنادة (ت: ٧٤ هـ)،وجابر بن عبد الله (ت: بعد ٧٨ هـ)، وسعد بن أبي وقاص (ت: ٥٥هـ)، وسلمة بن نفيل الكندي، وعبد الرحمن بن صخر الدوسي – أبو هريرة – (ت: ٥٧هـ)، وعقبة بن عامر (ت: بعد ٤٧هـ)، وعمران بن حصين (ت: ٥٣هـ)، وقرة بن إياس (ت: ٦٤ هـ)، ومعاوية بن أبي سفيان (ت: ٦٠هـ)، والمغيرة بن شعبة (ت: ٥٠هـ)، رضي الله عنهم أجمعين[١].

٢- من التابعين رواه أربعة وعشرون: إبراهيم بن أبي عبلة شمر بن يقظان بن عامر بن عبد الله (ت: ١٥٢ هـ)، وإسماعيل بن أبي خالد الأحمسي (ت: ١٤٦ هـ)، وأيوب بن أبي تميمة كيسان (ت: ١٣١ هـ)، وجبير بن نفير بن مالك (ت: ٧٥ هـ)، وحميد بن عبد الرحمن بن عوف (ت: ٩٥ هـ)، وداود بن أبي هند دينار (ت: ١٣٩ أو ١٤٠ هـ)، وشعيب بن محمد بن عبد الله بن عمرو بن العاص، وعبد الرحمن بن شماسة (ت: بعد ١٠٠ هـ)، وعبد الرحمن بن مل بن عمرو (ت: ١٠٠ هـ)، وعبد الله بن زيد بن عمرو (ت: ١٠٤ أو ١٠٧ هـ)، وعمرو بن الأسود (ت: في خلافة معاوية)، وعمرو بن شعيب ابن محمد بن عبد الله بن عمرو بن العاص (ت: ١١٨ هـ)، وعمرو بن مرثد (ت: في خلافة عبد الملك بن مروان)، وعمير بن هانئ (ت: ١٢٧ هـ)، وقتادة بن دعامة بن قتادة (ت: ١١٧ هـ)، وقيس بن أبي حازم حصين (ت: في آخر خلافة سليمان)، وكثير بن مرة (ت: بين ٧٠ و ٨٠ هـ)، ومحمد بن مسلم بن تدرس (ت: ١٢٦ هـ)، ومحمد بن مسلم ابن عبيد الله (ت: بين ١٢٣ و ١٢٥ هـ)، ومطرف بن عبد الله بن الشخير (ت: ٩٥ هـ)، ومعاوية بن قرة بن إياس (ت: ١١٣ هـ)، والوليد بن عبد الرحمن الجرشي الحمصي، ويزيد

(١) انظر أسماء الرواة ووفياتهم في تهذيب التهذيب على التوالي: (١/٣٤٣، ٣٤٨، ٣٥٠)، (٢/٢٨٤، ٣٨٣)، (٦/٤٧٩)، (٤/١٥٤، ٣٩٧، ٥٥١)، (٥/٤٧٨، ٥١٢) . برقم (١٠١٥، ١٠٢٤، ١٠٢٨، ٢٦٥١، ٢٩٣٨، ١٠٣٥٣، ٥٣٤١، ٥٩٧٤، ٦٤١٣، ٧٨٦٥، ٧٩٥١) على التوالي .

ابن الأصم بن عبيد (ت: بين ١٠١ و ١٠٤هـ)، ويزيد بن أبي حبيب سويد (ت: ١٢٨هـ)، رحمهم الله تعالى[١].

٣- من أتباع التابعين رواه ثلاثة وثلاثون: إبراهيم بن حميد بن عبد الرحمن (ت: ١٧٨هـ)، وجعفر بن برقان (ت: ١٥٤هـ)، وحجاج بن أرطاة بن ثور النخعي (ت: ١٤٥هـ)، وحجاج بن محمد المصيصي (ت: ٢٠٦هـ)، وحماد بن أسامة بن زيد (ت: ٢٠١هـ)، وحماد بن زيد بن درهم (ت: ١٧٩هـ)، وحماد بن سلمة بن دينار (ت: ١٦٧هـ)، وخالد بن يزيد بن صالح بن صبيح (ت: ١٦٧هـ)، وسعيد بن بشير الأزدي (ت: ١٦٨ أو ١٦٩ أو ١٧٠هـ)، وسليمان بن حرب بن بجيل (ت: ٢٢٤هـ)، وسليمان ابن داود بن الجارود (ت: ٢٠٣ أو ٢٠٤هـ)، وشعبة بن الحجاج بن الورد (ت: ١٦٠ هـ)، وعبد الرحمن بن يزيد بن جابر (ت: ١٥٣هـ)، وعبد الله بن المبارك بن واضح (ت: ١٨١هـ)، وعبد الله بن وهب بن مسلم (ت: ١٩٧هـ)، وعبد الملك بن عبد العزيز بن جريج (ت: ١٥٠هـ)، وعبدة بن سليمان الكلابي (ت: ١٨٧ أو ١٨٨هـ)، وعبيد الله بن موسى بن أبي المختار باذام (ت: ٢١٣هـ)، وعمرو بن الحارث بن يعقوب (ت: ١٤٨هـ)، والقاسم بن نافع السوارقي، وكثير بن هشام (ت: ٢٠٧هـ)، ومحمد بن جعفر الهذلي (ت: ١٩٣هـ)، ومحمد بن شعيب بن شابور (ت: بين ١٩٧ و ٢٠٠هـ)، ومروان بن محمد بن حسان (ت: ٢١٠هـ)، ومروان بن معاوية الفزاري (ت: ١٩٣هـ)، وموسى بن إسماعيل المِنْقَري (ت: ٢٢٣هـ)، ونصر بن علقمة، وهشيم بن بشير بن القاسم بن دينار (ت: ١٨٣هـ)، ووكيع بن الجراح (ت: ١٩٦هـ)، والوليد بن مسلم القرشي الدمشقي

(١) انظر أسماء الرواة ووفياتهم في تهذيب التهذيب على التوالي: (١/٩٣، ١٨٥، ٢٥١، ٣٦٢)، (٢/٢٩، ١٢١، ٥٠٩)، (٣/٣٧٣، ٤٢٣، ١٤٨)، (٤/٣٢٠، ٣٤٧، ٣٧٩، ٤١٢، ٥٤٠، ٥٦١، ٥٨٨)، (٥/٢٨١، ٢٨٤، ٤٥٦، ٤٨٤)، (٦/٩٠، ١٩٧، ٢٠١). برقم (٢٥٥، ٥٤٣، ٧٣٣، ١٠٦٤، ١٨٢٩، ٢١٣٩، ٤٤٤٣، ٤٥٩٦، ٣٧٦١، ٥٧٥٩، ٥٨٣٤، ٥٩١٣، ٦٠٢١، ٦٣٩١، ٦٤٤٥، ٦٥٢٢، ٧٣١٩، ٧٣٢٤، ٧٨٠٤، ٧٨٧٩، ٨٦٠٠، ٨٨٦٧، ٨٨٨١) على التوالي.

(ت: ١٩٤هـ)، ويحيى بن حمزة بن واقد (ت: ١٨٣ هـ)، ويحيى بن سعيد بن فروخ (ت: ١٩٨هـ)، ويونس بن يزيد بن أبي النجاد (ت: ١٥٩هـ)، رحمهم الله تعالى[1].

٤- من تبع الأتباع رواه سبعة وعشرون: أحمد بن عبد الرحمن بن وهب (ت: ٢٦٤هـ)، وأحمد بن عبد الواحد بن واقد (ت: ٢٥٤ هـ)، وإسحاق بن منصور بن بهرام (ت: ٢٥١هـ)، وإسماعيل بن عبد الله بن عبد الله بن أويس (ت: ٢٢٦ هـ)، وحبان بن موسى بن سوار (ت: ٢٣٣ هـ)، وحجاج بن يوسف بن حجاج (ت: ٢٥٩ هـ)، وسعيد ابن كثير بن عفير بن مسلم بن يزيد (ت: ٢٢٦ هـ)، وسعيد بن منصور (ت: ٢٢٧هـ)، وسليمان بن داود العتكي (ت: ٢٣٤ هـ)، وشهاب بن عباد العبدي الكوفي (ت: ٢٢٤هـ)، وعبد الله بن الزبير بن عيسى بن عبيد الله (ت: ٢١٩ أو ٢٢٠ هـ)، وعبد الله بن محمد بن أبي الأسود (ت: ٢٢٣ هـ)، وعبد الله بن محمد بن أبي شيبة (ت: ٢٣٥ هـ)، وقتيبة بن سعيد بن جميل (ت: ٢٤٠ هـ)، ومحمد بن بشار بن عثمان (ت: ٢٥٢ هـ)، ومحمد بن رافع (ت: ٢٤٥ هـ)، ومحمد بن عبد الله بن نمير (ت: ٢٣٤ هـ)، ومحمد بن عيسى بن نجيح (ت: ٢٢٤ هـ)، ومحمد بن المثنى بن عبيد (ت: ٢٥٢ هـ)، ومحمد بن يحيى بن أبي عمر (ت: ٢٤٣ هـ)، ومحمود بن غيلان (ت: ٢٣٩ هـ)، ومنصور بن أبي مزاحم (ت: ٢٣٥ هـ)، وهارون بن عبد الله بن مروان (ت: ٢٤٣ هـ)، وهشام بن عمار بن نصير بن ميسرة بن أبان (ت: ٢٤٥ هـ)، والوليد بن شجاع بن الوليد (ت: ٢٤٣ هـ)،

---

(١) انظر أسماء الرواة ووفياتهم في تهذيب التهذيب على التوالي: (١/٧٨، ٣٧٤، ٤٤١، ٤٤٦)، (٢/٥، ٩، ١٠، ٧٦، ٢٩١، ٣٩٥، ٣٩٨، ٤٩٨)، (٣/٤٣٦، ٢٤٧، ٢٩٥، ٥٠١، ٥٣٦)، (٤/٣٥، ٣٢٦، ٥٣٣، ٥٨٩)، (٥/٦٤، ١٤٤، ٤٠٧، ٤٠٨، ٥٥٦، ٦١٦)، (٦/٤١، ٨١، ٩٨، ١٢٨، ١٣٨، ٢٨٤). برقم (٢٠٨، ١٠٩٢، ١٣٢٦، ١٣٤٢، ١٧٥٤، ١٧٦٦، ١٧٦٧، ١٩٨٢، ٢٦٧٤، ٢٩٧٥، ٢٩٨٠، ٣٢٥٤، ٤٦٢٨، ٤٠٤١، ٤١٨٩، ٤٨٠٥، ٤٨٩٦، ٤٩٩٨، ٥٧٧٦، ٦٣٧١، ٦٥٢٥، ٦٧٢٠، ٦٩٤١، ٧٦٥٥، ٧٦٥٧، ٨٠٦٣، ٨٢٥٧، ٨٤٦٦، ٨٥٧٧، ٨٦٢٠، ٨٧٠٥، ٨٧٢٥، ٩١٣٦) على التوالي.

ويحيى بن يحيى بن بكير بن عبد الرحمن (ت: ٢٢٦ هـ)، ويعقوب بن حميد بن كاسب (ت: ٢٤٠ أو ٢٤١هـ)، رحمهم الله تعالى أجمعين[١].

هذا عدا رواة مسند أحمد، وسنن الدارمي، وغيرهما، فهي غير داخلة في مجال دراستي للإسناد.

ولهذا نص عدد من العلماء على تواتر الحديث، منهم: ابن تيمية (ت: ٧٢٨ هـ)[٢]، والسيوطي (ت: ٩١١ هـ)[٣]، والزبيدي (ت: ١٢٠٥ هـ)[٤]، والكتاني (ت: ١٣٤٥هـ)[٥]، وغيرهم.



(١) انظر أسماء الرواة ووفياتهم في تهذيب التهذيب على التوالي: (١/ ٣٨، ٤٠، ١٦٠، ١٩٧، ٤٢٨، ٤٤٨)، (٢/ ٣٢٩، ٣٣٨، ٤٠٣، ٥١٦)، (٣/ ١٤٢، ٢٥٤، ٢٥٢)، (٤/ ٥٤٤)، (٥/ ٤٧، ١٠٥، ١٨٢، ٢٥١، ٢٧٢، ٣٣١، ٣٨٧، ٥٤٣)، (٦/ ٩، ٣٦، ٨٧، ١٨٨، ٢٤١). برقم (٩١، ٩٤، ٤٧١، ٥٦٨، ١٢٧٦، ١٣٤٨، ٢٧٩٢، ٢٨١١، ٢٩٨٦، ٣٢٩٥، ٣٧٤٦، ٤٠٥٢، ٤٠٤٩، ٦٣٩٥، ٦٦٧٨، ٦٨٢٦، ٧٠٥٥، ٧٢٣١، ٧٢٨٨، ٧٤٣٩، ٧٥٨٩، ٨٠٢٤، ٨٣٨٤، ٨٤٥٦، ٨٥٩٢، ٨٨٤٥، ٩٠١٢) على التوالي.

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم (١/ ٨١). قال: «بل قد تواتر عنه صلى الله عليه وسلم أنه لا تزال طائفة من أمته ظاهرة ...».

(٣) قطف الأزهار المتناثرة صـ٢١٦ في كتاب الأدب، برقم (٨١). وقد ذكر من أخرج الحديث.

(٤) لقط اللآلئ المتناثرة في الأحاديث المتواترة صـ٦٨، وترتيبه العشرون. وقال: «رواه من الصحابة اثنا عشر نفساً» ثم عدهم وذكر من أخرج الحديث. وقد ذكر محققا لقط اللآلئ وقطف الأزهار تخريج الحديث في غير الكتب الستة لمن أراد الاستزادة.

(٥) نظم المتناثر في الحديث المتواتر صـ٩٣. وقال: «أورده في الأزهار في كتاب الأدب»، يعني السيوطي في قطف الأزهار، وزاد على ما ذكره السيوطي من الصحابة رضي الله عنهم خمسة ثم قال: «وله ألفاظ متقاربة المعنى، ونص على تواتره أيضاً شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه اقتضاء الصراط المستقيم».

ألفاظ الحديث

سأورد ألفاظ الحديث تبعاً لرواتها من الصحابة، وسأبدأ بألفاظ الصحيحين ثم أقارنها مع غيرها، لتتضح وجوه الاتفاق والاختلاف والزيادة والنقص في ألفاظ كل رواية [١].

والغاية من إفراد ألفاظ الحديث بعنوان تجنب تكرار الإرجاع عند شرح الحديث، إذ سأكتفي هنالك بذكر الصحابي الذي روى تلك الرواية، وبإمكان القارئ العودة إلى هنا ليعرف مصدر الرواية إن لزم الأمر.

أولاً: رواية المغيرة بن شعبة رضي الله عنه:

لفظ البخاري: «لا يَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ حَتَّى يَأْتِيَهُمْ أَمْرُ اللهِ وَهُمْ ظَاهِرُونَ»[٢] وفي لفظ: «لا يَزَالُ نَاسٌ ... الحديث»[٣]. وبلفظ: «لا يَزَالُ مِنْ أُمَّتِي قَوْمٌ ظَاهِرِينَ عَلَى النَّاسِ حَتَّى يَأْتِيَهُمْ أَمْرُ اللهِ»[٤]، وكذا عند أحمد، غير أن في آخره: «وَهُمْ ظَاهِرُونَ»[٥]، وكذا عند الدارمي مع تقديم وتأخير «قَوْمٌ مِنْ أُمَّتِي» وزيادة: «وَهُمْ ظَاهِرُونَ»[٦].

وعند مسلم بلفظ: «لَنْ يَزَالَ قَوْمٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى النَّاسِ حَتَّى يَأْتِيَهُمْ أَمْرُ اللهِ وَهُمْ ظَاهِرُونَ»[٧]، وهو لفظ أحمد نفسه، غير أن فيه «أُنَاسٌ» بدلاً من «قَوْمٌ»[٨].

---

(١) نظراً لأن المقصود بيان الألفاظ وإظهار وجوه الاتفاق والاختلاف لا سرد الروايات، فإنني لم ألتزم بتقديم الروايات المتفق عليها فالبخاري فمسلم فأصحاب السنن الأربعة، ففي ذلك إسهاب وفوات للمقصود. كما لم ألتزم هنا ولا في شرح الحديث بالكتب الستة، لأنني قصرت التزامي بها على إيراد الأسانيد.

(٢) صحيح البخاري (١٧/ ١٢٣) في كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة: باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: «لا تزال طائفة ...»، برقم (٧٣١١).

(٣) صحيح البخاري (٨/ ٥٤٩) في كتاب المناقب: باب سؤال المشركين أن يريهم النبي صلى الله عليه وسلم آية فأراهم انشقاق القمر، برقم (٣٦٤٠).

(٤) صحيح البخاري (١٧/ ٣٤٩) في كتاب التوحيد: باب قول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَن نَّقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾، برقم (٧٤٥٩).

(٥) مسند أحمد (٤/ ٢٤٤) في حديث المغيرة بن شعبة رضي الله عنه من أول مسند الكوفيين، برقم (١٧٦٦٩).

(٦) سنن الدارمي (٢/ ٢٨٠) في كتاب الجهاد: باب لا تزال طائفة من هذه الأمة يقاتلون على الحق، برقم (٢٤٣٢).

(٧) صحيح مسلم (٧/ ٧٤-٧٥) في كتاب الإمارة: باب قوله صلى الله عليه وسلم: «لا تزال طائفة...»، برقم (١٩٢١).

(٨) مسند أحمد (٤/ ٢٥٢) في حديث المغيرة بن شعبة رضي الله عنه من أول مسند الكوفيين، برقم (١٧٧٣٨).

وعند أحمد أيضاً: «لا يَزَالُ نَاسٌ مِنْ أُمَّتِي يُقَاتِلُونَ عَلَى الحقِّ ظَاهِرِينَ حَتَّى يَأْتِيَهُمْ أَمْرُ اللهِ عز وجل»[(١)].

ثانياً: رواية جابر بن عبد الله رضي الله عنه:

رواه مسلم بلفظ: «لا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي يُقَاتِلُونَ عَلَى الحَقِّ ظَاهِرِينَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ - قَالَ - فَيَنْزِلُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ صلى الله عليه وسلم، فَيَقُولُ أَمِيرُهُمْ: تَعَالَ صَلِّ لَنَا، فَيَقُولُ: لا، إِنَّ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ أُمَرَاءُ، تَكْرِمَةَ اللهِ هَذِهِ الأُمَّةَ» وعند أحمد: «صَلِّ بِنَا»، وفي رواية: «إِنَّ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ أَمِيرٌ، لِيُكْرِمَ اللهُ هَذِهِ الأُمَّةَ»[(٢)].

ثالثاً: رواية ثوبان بن بجدد رضي الله عنه:

رواه مسلم بلفظ: «لا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الحَقِّ، لا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ وَهُمْ كَذَلِكَ»، وَلَيْسَ فِي حَدِيثِ قُتَيْبَةَ «وَهُمْ كَذَلِكَ»[(٣)] وبمثل حديث قتيبة رواه أحمد إلا في قوله: «عَلَى الحقِّ ظَاهِرِينَ»[(٤)] وفي أوله عند الترمذي: «إِنَّمَا أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي الأَئِمَّةَ المضِلِّينَ»، ثم تتمته كحديث قتيبة مع اختلاف يسير، وهو قوله: «عَلَى الحقِّ ظَاهِرِينَ» و«يَخْذُلُهُمْ»[(٥)].

وعند أبي داود: «إِنَّ اللهَ زَوَى لِي الأَرْضَ - أَوْ قَالَ - إِنَّ رَبِّي زَوَى لِي الأَرْضَ، فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا، وَإِنَّ مُلْكَ أُمَّتِي سَيَبْلُغُ مَا زُوِيَ لِي مِنْهَا، وَأُعْطِيتُ الْكَنْزَيْنِ الأَحْمَرَ

---

(١) مسند أحمد (٤/ ٢٤٨) في حديث المغيرة بن شعبة رضي الله عنه من أول مسند الكوفيين، برقم (١٧٧٠١).

(٢) انظر على التوالي: صحيح مسلم (١/ ٤٦٨) في كتاب الإيمان: باب نزول عيسى ابن مريم حاكماً بشريعة نبينا، برقم (١٥٦)، ومسند أحمد (٣/ ٣٨٤، ٣٤٥) في مسند جابر بن عبد الله رضي الله عنه من باقي مسند المكثرين، برقم (١٤٧٠٧، ١٤٣١٠).

(٣) صحيح مسلم (٧/ ٧٤) في كتاب الإمارة: باب قوله صلى الله عليه وسلم: «لا تزال طائفة ...»، برقم (١٩٢٠).

(٤) مسند أحمد (٥/ ٢٧٩) في حديث ثوبان رضي الله عنه من باقي مسند الأنصار، برقم (٢١٨٩٧).

(٥) سنن الترمذي (٦/ ٤٨٣) في كتاب الفتن: باب ما جاء في الأئمة المضلين، برقم (٢٢٢٩).

وَالأَبْيَضَ، وَإِنِّي سَأَلْتُ رَبِّي لأُمَّتِي أَنْ لا يُهْلِكَهَا بِسَنَةٍ بِعَامَّةٍ، وَلا يُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوّاً مِنْ سِوَى أَنْفُسِهِمْ فَيَسْتَبِيحَ بَيْضَتَهُمْ، وَإِنَّ رَبِّي قَالَ لِي: يَا مُحَمَّدُ، إِنِّي إِذَا قَضَيْتُ قَضَاءً فَإِنَّهُ لا يُرَدُّ، وَلا أُهْلِكُهُمْ بِسَنَةٍ بِعَامَّةٍ، وَلا أُسَلِّطُ عَلَيْهِمْ عَدُوّاً مِنْ سِوَى أَنْفُسِهِمْ فَيَسْتَبِيحَ بَيْضَتَهُمْ وَلَوْ اجْتَمَعَ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِ أَقْطَارِهَا - أَوْ قَالَ - بِأَقْطَارِهَا، حَتَّى يَكُونَ بَعْضُهُمْ يُهْلِكُ بَعْضاً، وَحَتَّى يَكُونَ بَعْضُهُمْ يَسْبِي بَعْضاً، وَإِنَّمَا أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي الأَئِمَّةَ المُضِلِّينَ. وَإِذَا وُضِعَ السَّيْفُ فِي أُمَّتِي لَمْ يُرْفَعْ عَنْهَا إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ، وَلا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَلْحَقَ قَبَائِلُ مِنْ أُمَّتِي بِالمُشْرِكِينَ، وَحَتَّى تَعْبُدَ قَبَائِلُ مِنْ أُمَّتِي الأَوْثَانَ، وَإِنَّهُ سَيَكُونُ فِي أُمَّتِي كَذَّابُونَ ثَلاثُونَ، كُلُّهُمْ يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ، وَأَنَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ، لا نَبِيَّ بَعْدِي، وَلا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي عَلَى الحَقِّ - قَالَ ابْنُ عِيسَى - ظَاهِرِينَ - ثُمَّ اتَّفَقَا - لا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ»[١]. وبمثله رواه ابن ماجه مع اختلاف يسير، وموضع الشاهد جاء بلفظ: «وَلَنْ تَزَالَ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي عَلَى الحَقِّ مَنْصُورِينَ، لا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ عز وجل»[٢]، وعنده أيضاً: «لا تَزَالُ»[٣].

رابعاً: رواية أبي هريرة رضي الله عنه:

رواه ابن ماجه بلفظ: «لا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي قَوَّامَةً عَلَى أَمْرِ اللهِ لا يَضُرُّهَا مَنْ خَالَفَهَا»[٤].

ولفظ أحمد: «لا يَزَالُ لِهَذَا الأَمْرِ أَوْ عَلَى هَذَا الأَمْرِ عِصَابَةٌ عَلَى الحَقِّ وَلا يَضُرُّهُمْ خِلافُ مَنْ خَالَفَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَهُمْ أَمْرُ اللهِ»، وفي رواية أخرى عنده: «لَنْ يَزَالَ»، وفي آخرها: «وَهُمْ عَلَى ذَلِكَ»، وبمثله في أخرى غير أن فيها: «لا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ»[٥].

---

(١) سنن أبي داود (٤ /٩٧-٩٨) في كتاب الفتن والملاحم: باب ذكر الفتن ودلائلها، برقم (٤٢٥٢).

(٢) سنن ابن ماجه (٤ /٣٦٩) في كتاب الفتن: باب ما يكون من الفتن، برقم (٣٩٥٢).

(٣) سنن ابن ماجه (١ /٢٩) في المقدمة: باب اتباع سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، برقم (١٠).

(٤) سنن ابن ماجه (١ /٢٨) في المقدمة: باب اتباع سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، برقم (٧).

(٥) مسند أحمد(٢ /٣٢١، ٣٧٩، ٣٤٠) في مسند أبي هريرة من باقي مسند المكثرين، برقم (٨٠٧٥، ٨٧١١، ٨٢٧٩) على التوالي.

خامساً : رواية معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه :

رواه البخاري بسنده إلى حُمَيْدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ قال : سَمِعْتُ مُعَاوِيَةَ خَطِيباً يَقُولُ : سَمِعْتُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ : « مَنْ يُرِدْ اللهُ بِهِ خَيْراً يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ، وَإِنَّمَا أَنَا قَاسِمٌ وَاللهُ يُعْطِي، وَلَنْ تَزَالَ هَذِهِ الأُمَّةُ قَائِمَةً عَلَى أَمْرِ اللهِ، لا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ »، وفي رواية أخرى عنده بمثل أوله ثم : « وَلا تَزَالُ هَذِهِ الأُمَّةُ ظَاهِرِينَ عَلَى مَنْ خَالَفَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ وَهُمْ ظَاهِرُونَ »، وفي أخرى : « وَلَنْ يَزَالَ أَمْرُ هَذِهِ الأُمَّةِ مُسْتَقِيماً حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ أَوْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ »[(١)].

وعنده أيضاً – وليس فيه أن معاوية رضي الله عنه كان على المنبر – : « لا يَزَالُ مِنْ أُمَّتِي أُمَّةٌ قَائِمَةٌ بِأَمْرِ اللهِ لا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ وَلا مَنْ خَالَفَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَهُمْ أَمْرُ اللهِ وَهُمْ عَلَى ذَلِكَ »، قَالَ عُمَيْرٌ : فَقَالَ مَالِكُ بْنُ يُخَامِرَ : قَالَ مُعَاذٌ : وَهُمْ بِالشَّأْمِ . فَقَالَ مُعَاوِيَةُ : هَذَا مَالِكٌ يَزْعُمُ أَنَّهُ سَمِعَ مُعَاذاً يَقُولُ : وَهُمْ بِالشَّأْمِ . وفي رواية أخرى بمثله غير أنه قال : « مَا يَضُرُّهُمْ مَنْ كَذَّبَهُمْ »[(٢)].

وعند مسلم – وفيه أن معاوية رضي الله عنه قاله على المنبر – : « لا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي قَائِمَةً بِأَمْرِ اللهِ، لا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ أَوْ خَالَفَهُمْ، حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ وَهُمْ ظَاهِرُونَ عَلَى النَّاسِ »، وفي أخرى : « مَنْ يُرِدْ اللهُ بِهِ خَيْراً يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ، وَلا تَزَالُ عِصَابَةٌ مِنْ الْمُسْلِمِينَ يُقَاتِلُونَ عَلَى الحقِّ، ظَاهِرِينَ عَلَى مَنْ نَاوَأَهُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ »[(٣)].

---

(١) انظر على التوالي : صحيح البخاري (١ / ٣١٣) في كتاب العلم : باب من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين، برقم (٧١)، و (٧ / ٦٨٧) في كتاب فرض الخمس : باب قول الله تعالى : ﴿ فأن لله خمسه وللرسول . . . ﴾، برقم (٣١١٦)، و (١٧ / ١٢٣) في كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة : باب قول النبي صلى الله عليه وسلم : « لا تزال طائفة . . . »، برقم (٧٣١٢) .

(٢) انظر على التوالي : صحيح البخاري (٨ / ٥٤٩) في كتاب المناقب : باب سؤال المشركين أن يريهم النبي صلى الله عليه وسلم آية فأراهم انشقاق القمر، برقم (٣٦٤١)، و (١٧ / ٣٤٩) في كتاب التوحيد : باب قول الله تعالى : ﴿ إنما قولنا لشيء إذا أردنا ﴾، برقم (٧٤٦٠) .

(٣) صحيح مسلم (٧ / ٧٥-٧٦) في كتاب الإمارة : باب قوله صلى الله عليه وسلم : « لا تزال طائفة . . . »، برقم (١٠٣٧) .

وعند أحمد بلفظ: « لا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي عَلَى الحقِّ، لا يُبَالُونَ مَنْ خَالَفَهُمْ أَوْ خَذَلَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ عز وجل »، وعنده أيضاً بمثل بداية رواية البخاري من طريق حميد بن عبد الرحمن بن عوف مع اختلاف يسير، ثم: « لا تَزَالُ أُمَّةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ على[1] الحقِّ، لا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ وَهُمْ ظَاهِرُونَ عَلَى النَّاسِ »[2].

ورواه ابن ماجه بسنده إلى شعيب بن محمد بن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: قَامَ مُعَاوِيَةُ خَطِيباً فَقَالَ: أَيْنَ عُلَمَاؤُكُمْ ؟ أَيْنَ عُلَمَاؤُكُمْ ؟! سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: « لا تَقُومُ السَّاعَةُ إِلا وَطَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرُونَ عَلَى النَّاسِ، لا يُبَالُونَ مَنْ خَذَلَهُمْ وَلا مَنْ نَصَرَهُمْ »[3].

سادساً: رواية جابر بن سمرة رضي الله عنه:

رواه مسلم وأحمد بلفظ: « لَنْ يَبْرَحَ هَذَا الدِّينُ قَائِماً يُقَاتِلُ عَلَيْهِ عِصَابَةٌ مِنْ الْمُسْلِمِينَ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ »[4] وفي أخرى عند أحمد بلفظ: « لا يَزَالُ ... الحديث »، وفي أخريين كذلك، غير أنه ليس فيهما: « مِنْ الْمُسْلِمِينَ »، وفي أخرى: « لا يَزَالُ هَذَا الأَمْرُ قَائِماً يُقَاتِلُ عَلَيْهِ الْمُسْلِمُونَ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ »، وفي أخرى: « لا يَزَالُ هَذَا الدِّينُ عَزِيزاً - أَوْ قَالَ - لا يَزَالُ النَّاسُ بِخَيْرٍ - شَكَّ أَبُو عَبْدِ الصَّمَدِ - إِلَى اثْنَيْ عَشَرَ خَلِيفَةً » ثُمَّ قَالَ كَلِمَةً خَفِيَّةً، فَقُلْتُ لأَبِي: مَا قَالَ ؟ قَالَ: « كُلُّهُمْ مِنْ قُرَيْشٍ »، وفي رواية أخرى بقريب من ذلك[5].

(١) في طبعة دار المعارف: عن، وهو تحريف. انظر طبعة مؤسسة الرسالة (٢٨ / ١١٦).

(٢) انظر على التوالي: مسند أحمد (٤ / ٩٧، ٩٩) في حديث معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه من مسند الشاميين، برقم (١٦٤٣٩، ١٦٤٦٧).

(٣) ابن ماجه (١ / ٢٩) في المقدمة: باب اتباع سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، برقم (٩).

(٤) انظر على التوالي: صحيح مسلم (٧ / ٧٥) في كتاب الإمارة: باب قوله صلى الله عليه وسلم: « لا تزال طائفة ... »، برقم (١٩٢٢)، ومسند أحمد (٥ / ١٠٣، ١٠٦، ١٠٨) في حديث جابر بن سمرة رضي الله عنه من أول مسند البصريين، برقم (٢٠٤٧٩، ٢٠٥٠٩، ٢٠٥٤٠).

(٥) انظر على التوالي: مسند أحمد (٥ / ٩٨، ٩٢، ٩٤، ١٠٥، ٩٨، ٩٣) في حديث جابر بن سمرة رضي الله عنه من أول مسند البصريين، برقم (٢٠٤٢٦، ٢٠٣٤٦، ٢٠٣٧٥، ٢٠٥٠٦، ٢٠٤١٨، ٢٠٣٦٦).

سابعاً : رواية عقبة بن عامر رضي الله عنه :

روى مسلم بسنده إلى عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ شِمَاسَةَ الْمَهْرِيِّ قَالَ : كُنْتُ عِنْدَ مَسْلَمَةَ بْنِ مُخَلَّدٍ وَعِنْدَهُ عَبْدُ اللهِ بْنُ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ فَقَالَ عَبْدُ اللهِ : لا تَقُومُ السَّاعَةُ إِلا عَلَى شِرَارِ الخَلْقِ، هُمْ شَرٌّ مِنْ أَهْلِ الجَاهِلِيَّةِ، لا يَدْعُونَ اللهَ بِشَيْءٍ إِلا رَدَّهُ عَلَيْهِمْ . فَبَيْنَمَا هُمْ عَلَى ذَلِكَ أَقْبَلَ عُقْبَةُ بْنُ عَامِرٍ، فَقَالَ لَهُ مَسْلَمَةُ : يَا عُقْبَةُ، اسْمَعْ مَا يَقُولُ عَبْدُ اللهِ، فَقَالَ عُقْبَةُ : هُوَ أَعْلَمُ، وَأَمَّا أَنَا فَسَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ : « لا تَزَالُ عِصَابَةٌ مِنْ أُمَّتِي يُقَاتِلُونَ عَلَى أَمْرِ اللهِ، قَاهِرِينَ لِعَدُوِّهِمْ، لا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ وَهُمْ عَلَى ذَلِكَ »، فَقَالَ عَبْدُ اللهِ : أَجَلْ، ثُمَّ يَبْعَثُ اللهُ رِيحاً كَرِيحِ الْمِسْكِ، مَسُّهَا مَسُّ الحَرِيرِ، فَلا تَتْرُكُ نَفْساً فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنَ الإِيمَانِ إِلا قَبَضَتْهُ، ثُمَّ يَبْقَى شِرَارُ النَّاسِ عَلَيْهِمْ تَقُومُ السَّاعَةُ (١) .

ثامناً : رواية سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه :

رواه مسلم بلفظ : « لا يَزَالُ أَهْلُ الْغَرْبِ ظَاهِرِينَ عَلَى الحَقِّ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ »(٢) .

تاسعاً : رواية قرة بن إياس رضي الله عنه :

رواه ابن ماجه بلفظ : « لا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي مَنْصُورِينَ، لا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ » وفي أوّله عند الترمذي : « إِذَا فَسَدَ أَهْلُ الشَّامِ فَلا خَيْرَ فِيكُمْ، لا تَزَالُ . . . الحديث »، قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ : قَالَ عَلِيُّ بْنُ الْمَدِينِيِّ : هُمْ أَصْحَابُ الحَدِيثِ (٣) .

---

(١) صحيح مسلم (٧ / ٧٦) في كتاب الإمارة : باب قوله صلى الله عليه وسلم : «لا تزال طائفة ... »، برقم (١٩٢٤) .

(٢) صحيح مسلم (٧ / ٧٧) في كتاب الإمارة : باب قوله صلى الله عليه وسلم : «لا تزال طائفة ... »، برقم (١٩٢٥) .

(٣) انظر على التوالي : سنن ابن ماجه (١ / ٢٨) في المقدمة : باب اتباع سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، برقم (٦)، وسنن الترمذي (٦ / ٤٣٢) في كتاب الفتن : باب ما جاء في الشام، برقم (٢١٩٢) .

عاشراً : رواية عمران بن حصين رضي الله عنه :

رواه أبو داود وأحمد بلفظ : « لا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي يُقَاتِلُونَ عَلَى الْحَقِّ، ظَاهِرِينَ عَلَى مَنْ نَاوَأَهُمْ، حَتَّى يُقَاتِلَ آخِرُهُمُ الْمَسِيحَ الدَّجَّالَ » وعند أحمد أيضاً بمثله، إلا أن آخره : « حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَيَنْزِلَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ عليه السلام »[١].

وعنده أيضاً بسنده إلى مُطَرِّف بن عبد الله بن الشخير قَالَ : قَالَ لِي عِمْرَانُ : إِنِّي لأُحَدِّثُكَ بِالحديثِ الْيَوْمَ لِيَنْفَعَكَ اللهُ عز وجل به بَعْدَ الْيَوْمِ . اعْلَمْ أَنَّ خَيْرَ عِبَادِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ الحمَّادُونَ، وَاعْلَمْ أَنَّهُ لَنْ تَزَالَ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الإِسْلامِ يُقَاتِلُونَ عَلَى الحقِّ، ظَاهِرِينَ عَلَى مَنْ نَاوَأَهُمْ حَتَّى يُقَاتِلُوا الدَّجَّالَ، وَاعْلَمْ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قَدْ أَعْمَرَ طائفةً[٢] مِنْ أَهْلِهِ فِي الْعَشْرِ، فَلَمْ تَنْزِلْ آيَةٌ تَنْسَخُ ذَلِكَ وَلَمْ يَنْهَ عَنْهُ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم-حَتَّى مَضَى لِوَجْهِهِ، ارْتَأَى كُلُّ امْرِئٍ بَعْدَمَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَرْتَئِيَ »[٣].

أحد عشر : رواية سلمة بن نفيل الكندي رضي الله عنه :

روى النسائي بسنده إلى سلمة بن نفيل الكندي رضي الله عنه قال : كُنْتُ جَالِساً عِنْدَ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ رَجُلٌ : يَا رَسُولَ اللهِ، أَذَالَ النَّاسُ الخيْلَ، وَوَضَعُوا السِّلاحَ، وَقَالُوا : لا جِهَادَ، قَدْ وَضَعَتِ الحَرْبُ أَوْزَارَهَا . فَأَقْبَلَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم بِوَجْهِهِ وَقَالَ : « كَذَبُوا، الآنَ الآنَ جَاءَ الْقِتَالُ، وَلا يَزَالُ مِنْ أُمَّتِي أُمَّةٌ يُقَاتِلُونَ عَلَى الحقِّ، وَيُزِيغُ اللهُ لَهُمْ قُلُوبَ أَقْوَامٍ وَيَرْزُقُهُمْ مِنْهُمْ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ وَحَتَّى يَأْتِيَ وَعْدُ اللهِ، وَالخيْلُ مَعْقُودٌ فِي نَوَاصِيهَا الخيْرُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَهُوَ يُوحَى إِلَيَّ أَنِّي مَقْبُوضٌ غَيْرَ مُلَبَّثٍ، وَأَنْتُمْ تَتَّبِعُونِي أَفْنَاداً يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ، وَعُقْرُ دَارِ المؤْمِنِينَ الشَّامُ »[٤].

---

(١) انظر على التوالي : سنن أبي داود (٣/٤) في كتاب الجهاد : باب في دوام الجهاد، برقم (٢٤٨٤)، ومسند أحمد (٤/٤٣٧، ٤٢٩) في حديث عمران بن حصين رضي الله عنهما من أول مسند البصريين، برقم (١٩٤١٩، ١٩٣٥٠).

(٢) لفظة « طائفة » ساقطة من طبعة دار المعارف . انظر طبعة مؤسسة الرسالة (٣٣/١٢٥).

(٣) مسند أحمد (٤/٤٣٤) في حديث عمران بن حصين رضي الله عنهما من أول مسند البصريين، برقم (١٩٣٩٤).

(٤) سنن النسائي (٦/٢١٥) في كتاب الخيل، برقم (٣٥٦١).

اثنا عشر : رواية أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه :

رواها أحمد بلفظ : « لا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي عَلَى الحقِّ ظَاهِرِينَ، لَعَدُوِّهِمْ قَاهِرِينَ، لا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ ـ إلا مَا أَصَابَهُمْ مِنْ لأْوَاءَ ـ حَتَّى يَأْتِيَهُمْ أَمْرُ اللهِ وَهُمْ كَذَلِكَ »، قَالُوا : يَا رَسُولَ اللهِ، وَأَيْنَ هُمْ ؟ قَالَ : « بِبَيْتِ المَقْدِسِ وَأَكْنَافِ بَيْتِ المَقْدِسِ »[١] .

ويُستنتج من مجموع تلك الروايات ما يلي :

أولاً : أخصر الروايات هي رواية البخاري من طريق المغيرة بن شعبة رضي الله عنه : « لا يَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ حَتَّى يَأْتِيَهُمْ أَمْرُ اللهِ وَهُمْ ظَاهِرُونَ ».

ثانياً : الاختلاف بين الروايات يدور على ثلاثة جوانب :

١ـ تقديم وتأخير في الألفاظ، كـ« قَوْمٌ مِنْ أُمَّتِي » مكان « مِنْ أُمَّتِي قَوْمٌ ».

٢ـ الاختلاف في بعض الألفاظ، كألفاظ : « طائفة » ـ « ناس » ـ « أمة »، وغيرها. وهو اختلاف تنوع وليس اختلاف تضاد ـ كالترادف ونحوه ـ كما سيأتي بيان ذلك عند شرح الحديث .

٣ـ زيادة بعض الألفاظ والعبارات، كـ« يُقَاتِلُونَ »، و « وَهُمْ ظَاهِرُونَ ».

وسترد بقية الأمثلة على تلك الجوانب من الاختلاف عند شرح الحديث .

ثالثاً : اختلاف سياقات طرق الحديث يدل على أن النبي صلى الله عليه وسلم ذكر الحديث في عدة مناسبات، وفي كل مناسبة كان السياق مختلفاً عن المناسبة الأخرى . لذا لا يمكن حصر وجوه الاتفاق والاختلاف والزيادة والنقص لألفاظ الروايات مجتمعة مع اختلاف المناسبات والسياقات .

وقد اخترت في شرح الحديث رواية أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه، لاشتمالها على معظم الألفاظ التي يمكنني التفرع منها إلى غيرها، وبالتالي أستوعب روايات الحديث بالشرح .

---

(١) مسند أحمد (٥/٢٦٩) في حديث أبي أمامة الباهلي الصدي بن عجلان من باقي مسند الأنصار، برقم (٢١٨١٦) .

شرح الحديث

الشرح الإجمالي:

عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: « لا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي عَلَى الحقِّ ظَاهِرِينَ، لَعَدُوِّهِمْ قَاهِرِينَ، لا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ -إلا مَا أَصَابَهُمْ مِنْ لأْوَاءَ- حَتَّى يَأْتِيَهُمْ أَمْرُ اللهِ وَهُمْ كَذَلِكَ »، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، وَأَيْنَ هُمْ؟ قَالَ: « بِبَيْتِ الْمَقْدِسِ وَأَكْنَافِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ ».

يخبر النبي صلى الله عليه وسلم أن الأمة الإسلامية لن تُعْدَم وجود جماعة من المسلمين تتسم بمجموعة من الأوصاف، هي:

١ـ الالتزام بشرائع الإسلام.

٢ـ قهر العدو.

٣ـ عدم التأثر بخلاف المخالفين.

٤ـ ثباتهم على ذلك حتى تنتهي آجالهم أو يأتيهم أمر الله.

فالزمان من بداية التشريع حتى يأتي أمر الله، أما المكان فقد حددت رواية أبي أمامة المكان ببيت المقدس وأكناف بيت المقدس، ورواية سعد بن أبي وقاص بأهل الغرب، وفي هذا تشريف للمكان ومَنْ فيه مِنَ المسلمين، أما غيرها من الروايات فقد وردت عامة دون تحديدٍ للمكان.

وهذا من منَّة الله عز وجل على عباده أن حفظ لهم دينهم بتثبيت طائفة من المسلمين على الإسلام، وزاد على ذلك – تكرماً منه سبحانه وتعالى – أن منح تلك الطائفة من القوة الإيمانية ما ينافحون به عن الإسلام مهما اشتدت بالمسلمين الخطوب.

فتضمن الحديث معنى الحث على امتثال تلك الصفات، أو الأمر في صورة الخبر. كما تضمن الإخبار المعجز عن المستقبل، وبيان فضائل بعض الأمكنة والأشخاص.

هذا بيان معنى الحديث من حيث الإجمال، **أما من حيث التفصيل** ففيما يلي شرح ألفاظ الحديث:

« لا تَزَالُ »:

ورد الحديث بألفاظ متعددة: « لا تزال » - « لا يزال » - « لن يزال » - « لن يبرح » - « لا تبرح »[١].

قال ابن عقيل: « معنى ما زال[٢] وأخواتها: (ملازمة الخبرِ المخبرَ عنه على حسب ما يقتضيه الحال)، وأخوات زال: برح، وفتئ، وانفك، وهذه يشترط في عملها أن يسبقها نفيٌ، »[٣]. كـ (ما، ولن، ولا).

قال الإمام النووي: « وَفِي هَذَا الْحَدِيث مُعْجِزَة ظَاهِرَة فَإِنَّ هَذَا الْوَصْف مَا زَالَ بِحَمْدِ الله تَعَالَى مِنْ زَمَن النَّبِيّ صلى الله عليه وسلم إِلَى الآن، وَلا يَزَال حَتَّى يَأْتِي أَمْر اللَّه الْمَذْكُور فِي الحديث »[٤].

« طَائِفَةٌ »:

ورد الحديث بألفاظ متعددة: « طائفة » - « ناس » - « أمة » - « قوم » - « عصابة » - « أهل الغرب »، وفيه ثلاث مسائل:

المسألة الأولى: المدلول العددي للألفاظ: أما لفظ « الطائفة » فليس له حد في العدد. قال الفيروز آبادي: « والطائفة من الشيء: القطعة منه، أو الواحد فصاعداً، أو إلى الألف، أو أقلها رجلان أو رجل، فيكون بمعنى النفس »[٥].

---

(١) روى اللفظ الأخير سعيد بن منصور في سننه (٢ / ١٧٨) في كتاب الجهاد: باب من قال الجهاد ماض، برقم (٢٣٧٦). وهو مرسل أرسله محمد بن كعب القُرَظي (٤٠ - ١١٨ هـ)، ولم يسم الصحابي الذي سمع منه هذا الحديث. انظر في الراوي: تهذيب التهذيب (٥ / ٢٦٩)، برقم (٧٢٨١).

(٢) « ما زال » هي الماضي من الفعل « لا تزال ».

(٣) شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك (١ / ١٥٢ و ١٥٠).

(٤) صحيح مسلم بشرح النووي (٧ / ٧٧)، في كتاب الإمارة: باب لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق، برقم (١٩٢٠).

(٥) القاموس المحيط صـ ٧٥٠، مادة « ط و ف ».

ولفظ « طائفة، وناس، وأمة، وقوم » في معنى العدد سواء، إذ هم الجماعة قلّتْ أو كثرت، أو جنس من شملتهم الأوصاف المذكورة في الحديث .

قال ابن منظور: « الإنسان: معروف ... والجمع الناس، مذكر ... وقد يؤنث على معنى القبيلة أو الطائفة »[١].

قال الفيروزآبادي: « والإِمَّة بالكسر: الحالة ... وبالضم: الرجل الجامع للخير، والإمام، وجماعة أرسل إليهم رسول، والجيل من كل حي، والجنس »[٢].

وقال أيضاً: « القَوْمُ: الجماعة من الرجال والنساء معاً، أو الرجال خاصةً، أو تدخله النساء على تبعية »[٣].

أما « العصابة » فهي كـ « العُصْبَة » عند الفيروزآبادي: « ما بين العشرة إلى الأربعين »[٤]. أما الرازي فقد ميز بينهما فقال: « العُصْبَة من الرجال: ما بين العشرة إلى الأربعين، والعِصابة بالكسر: الجماعة من الناس والخيل والطير »[٥]. وعلى قول الرازي يكون لفظ « عصابة » يوازي « طائفة » وغيرها في معنى العدد .

والمقصود من العدد - إن كان مراداً في هذا اللفظ - أقل ما يكونون عليه . والحكمة من تحديد العدد سترد عند إيراد معنى اللفظ في المسألة الثانية .

أما لفظ: « أهل الغرب » فهو لفظ مطلق عن العدد لبيان الصفة أو الجهة، كما سيأتي توضيحه في المسألة الثانية .

---

(١) لسان العرب، ابن منظور (١/ ١٤٧)، مادة « أ ن س ».

(٢) القاموس المحيط صـ ٩٧١، مادة « أ م م ».

(٣) القاموس المحيط صـ ١٠٣٩، مادة « ق و م ».

(٤) القاموس المحيط صـ ١٠٧، مادة « ع ص ب ».

(٥) مختار الصحاح، للرزاي صـ ١٨٣، مادة « ع ص ب ».

المسألة الثانية: ما تفيده الألفاظ: ما سبق هو بيان لمدلول تلك الألفاظ من حيث العدد، أما مدلولها من حيث المعنى فتفيد ما يلي:

١- معنى حفظ الدين: تدل عليه رواية معاوية رضي الله عنه: « لَنْ تَزَالَ هَذِهِ الأُمَّةُ قَائِمَةً عَلَى أَمْرِ اللهِ »، فالمراد من تلك الرواية قيام الأمة على أصل الدين وأركانه، إذ إن من يعرض عن أصول الإسلام لا يكون من أمة محمد صلى الله عليه وسلم، لأنه مرتد، وتؤيد ذلك الرواية الأخرى: « لَنْ يَزَالَ أَمْرُ هَذِهِ الأُمَّةِ مُسْتَقِيماً حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ ». وعلى هذا الوجه يكون معنى القيام بأصول الدين خاصاً برواية معاوية رضي الله عنه، إذ يستحيل أن تكون الأمة كلها قائمة على أمر الله على الوجه المذكور في الروايات الأخرى، إلا إن كان المراد إطلاق الكل وإرادة الجزء، حيث ذكر الأمة وأراد بعضها على جهة المجاز. قال ابن حجر: « وَقَوْله: « لَنْ تَزَالَ هَذِهِ الأُمَّة » ، يَعْنِي بَعْض الأُمَّة، كَمَا يَجِيء مُصَرَّحاً بِهِ فِي المَوْضِعِ الَّذِي أَشَرْت إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى »[1].

٢- معنى الكثرة: ويدل عليه الألفاظ: « طائفة، وناس، وأمة »[2]، فهي مطلقة في كل من حصل فيه الوصف أفراداً كانوا أم جماعات. والكثرة هنا لا يلزم منها – لا لغة ولا شرعاً – أن يكونوا أغلبية في العدد على غيرهم، فقد قال صلى الله عليه وسلم: « بَلْ أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ، وَلَكِنَّكُمْ غُثَاءٌ كَغُثَاءِ السَّيْلِ، وَلَيَنْزَعَنَّ اللهُ مِنْ صُدُورِ عَدُوِّكُمْ المَهَابَةَ مِنْكُمْ، وَلَيَقْذِفَنَّ اللهُ فِي قُلُوبِكُمْ الْوَهْنَ »، فَقَالَ قَائِلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ، وَمَا الْوَهْنُ ؟ قَالَ: « حُبُّ الدُّنْيَا وَكَرَاهِيَةُ المَوْتِ »[3] ولا تعارض بين هذا الحديث والحديث موضع الدراسة « لا تزال طائفة... »، فهذا الحديث في فشو الوهن يتكلم عن الأعم الأغلب، وهذا لا يمنع أن تكون هناك طائفة ظاهرة تنكي في العدو بما لا تفعله الأمة بأسرها.

---

(١) فتح الباري (١/٣١٥) في كتاب العلم: باب من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين، برقم (٧١)، والموضع المشار إليه هو الروايات الأخرى للبخاري في كتابي الخمس والاعتصام.

(٢) سبق بيان معنى تلك الألفاظ، وأنها ليس لها حد في العدد.

(٣) سنن أبي داود (٤/١١١) في كتاب الملاحم: باب في تداعي الأمم على الإسلام، برقم (٤٢٩٧)، ومسند أحمد (٥/٢٧٨) في ومن حديث ثوبان رضي الله عنه من باقي مسند الأنصار، برقم (٢١٨٩١).

قال السندي : « الطَّائِفَة الجماعَة مِن النَّاس، وَالتَّنْكِير لِلتَّقْلِيل، أَوْ التَّعْظِيم لِعِظَمِ قَدْرِهِمْ وَوُفُور فَضْلهمْ . وَيَحْتَمِل التَّكْثِير أيْضاً، فَإِنَّهُمْ وَإِنْ قَلُّوا فَهُمْ الْكَثِيرُونَ، فَإِنَّ الْوَاحِد لا يُسَاوِيه الأَلْف، بَلْ هُمْ النَّاس كُلّهمْ »[١] والتقليل منتفٍ بلفظ « أمة »، إذ القلة فيها ممتنعة حتى مع التنكير، إلا إن كان المراد بتعدد الروايات تعدد الأحوال، فهم قليل في أزمان، كثير في غيرها .

٣- معنى الاجتماع : فاجتماع الجماعات على هذا الدين وباسمه – على الوصف المذكور– لا ينقطع إلى يوم القيامة . وهذا مستفاد من قوله صلى الله عليه وسلم : « عصابة، وقوم ».

ولا يصح تقييد ألفاظ المعنى الأول بألفاظ المعنى الثاني، إذ لا تعارض بينهما لغةً من جهة، وواقع الحال لا يمنع من حصولهما معاً من جهة أخرى، فلا يمتنع أن تكون هناك ـ في آن واحد ـ جماعة ظاهرون على الحق مع وجود أفراد ظاهرين بما آتاهم الله من التأييد والرهبة في قلوب الناس .

٤- معنى الاجتماع على منهج : وهذا ظاهر في لفظ : « عصابة »، إذ هي مشتقة من تَعَصَّبَ واعتصب وهم اعتصبوا وعُصْبَة وعِصابة . قال الفيروزآبادي : « تَعَصَّبَ : شد العصابة، وأتى بالعصبية، وتقنع بالشيء ورضي به، كاعتصب به ... واعتصبوا : صاروا عُصبة »[٢] وهذا المعنى الدقيق في قوله صلى الله عليه وسلم : « عصابة » يؤكده قوله صلى الله عليه وسلم بعده : « على الحق »، أو « على أمر الله »، أو « يقاتل عليه »، إذ هو تعصب على أمر بعينه حدده الحديث بعدُ .

والحكمة – والله أعلم – من تحديد العدد ـ إن كان مراداً ـ في هذا اللفظ أن من يتعصبون لأمر من الأمور ينحصرون عادة، ومن سواهم يكون تبعاً لهم في ذلك الأمر على

(١) شرح سنن ابن ماجه للسندي (١/ ٧)، في المقدمة : باب اتباع سُنَّة رسول الله صلى الله عليه وسلم، برقم (٦) .

(٢) القاموس المحيط صـ١٠٧، مادة « ع ص ب ».

جهة التبعية لا على جهة التعصب، وبالأخص في عصور الضعف حيث يقل من يجتمعون على هذا الأمر حتى يقاربوا العصابة في العدد، فالله المستعان .

٥- معنى الجهة: وهذا في رواية سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه: « أهل الغرب ».

قال النووي: « قَالَ عَلِيّ بن المدينيّ: المرَاد بِأَهْلِ الْغَرْب: الْعَرَب، وَالمرَاد بِالْغَرْبِ الدَّلْو الْكَبِير لاخْتِصَاصِهِمْ بِهَا غَالِباً، وَقَالَ آخَرُونَ: المرَاد بِه الْغَرْب مِنْ الأَرْض، وَقَالَ مُعَاذ: هُمْ بِالشَّام، وَجَاءَ فِي حَدِيث: آخِرهمْ بِبَيْتِ المقْدِس، وَقِيلَ: هُمْ أَهْل الشَّام وَمَا وَرَاء ذَلِكَ، قَالَ القَاضِي: وَقِيلَ: المرَاد بِأَهْلِ الْغَرْب أَهْل الشِّدَّة وَالجلَد، وَغَرْب كُلّ شَيء حَدّه »[١]، وبعد أن استفاض ابن حجر في بيان تلك الأقوال قال: « قُلت: وَيُمْكِن الجمْع بَيْن الأَخْبَار بِأَنَّ المرَاد قَوْم يَكُونُونَ بِبَيْتِ المقْدِس، وَهِيَ شَامِيَّة، وَيَسْقُونَ بِالدَّلْوِ، وَتَكُون لَهُمْ قُوَّة فِي جِهَاد العَدُوّ وَحِدَّةٌ وَجِدٌّ »[٢].

والذي يظهر - والله أعلم - أن تخصيص أهل الشام في بعض الروايات فيه مزيد تشريف وتكريم لهم منه صلى الله عليه وسلم، وهذا لا ينافي كون معظم الروايات خلت من ذلك التقييد، فتحقق تلك الصفات في المسلمين عموماً له من العزة والشرف ما بينته معظم الروايات، وتحققها في أهل الشام أو مَنْ ببيت المقدس فيه مزيد تشريف على تشريف بما ورد في حقهم من التخصيص في بعض الروايات، فلا تعارض . ويؤيد ذلك رواية قرة بن إياس رضي الله عنه التي في أولها: « إِذَا فَسَدَ أَهْلُ الشَّامِ فَلا خَيْرَ فِيكُمْ »، ورواية سلمة بن نفيل الكندي رضي الله عنه التي في آخرها: « وَعُقْرُ دَارِ المؤْمِنِينَ الشَّامُ ».

وتقييد تلك المنزلة لأهل الشام بزمان دون زمان لا وجه له، لسببين:

أ- **من النص**: عموم ما ورد في أهل الشام من الخيرية، وهذا الحديث هو جزء من الخيرية المذكورة في تلك الأحاديث، أو هو بيان لتلك الخيرية، ومعلوم أن تلك الأحاديث وردت مطلقة من حيث الزمان .

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووي (٧ / ٧٧) في كتاب الإمارة: باب قوله صلى الله عليه وسلم: « لا تزال طائفة ... »، برقم (١٩٢٥) .

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري (١٧ / ١٢٦)، في كتاب: باب من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين، برقم (٧٣١٢) .

ب- من الواقع: عموم ما حصل ويحصل لأهل الشام من المحن والفتن التي لم تحصل لغيرهم، ومعادن الناس لا تظهر بجلاء إلا عند الابتلاء . فقتال المغول ألوثنيين وهجمات الصليبيين وجهاد الصهاينة اليهود، ثم قتال الدجال وجنده، ثم خروج يأجوج ومأجوج، وغيرها مما يحصل في الشام، كل ذلك كان سبباً - والله أعلم - في حصول المزية لهم من حيث العموم، ثم جاء هذا الحديث ليؤكد تلك المزية في أوصاف مخصوصة بعينها .

المسألة الثالثة: ماهية تلك الطائفة: لقد خصص العلماء تلك الطائفة بعدد من المخصصات، ومن ذلك[١] :

أ- قال الإمام البخاري (ت:٢٥٦هـ) في كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة عند التبويب للحديث ورواياته: « باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: « لا تزالِ طائفة من أمتي ظاهرين على الحق يقاتلون » وهم أهل العلم »[٢] ومستنده في تخصيص تلك الطائفة بأهل العلم هو الحديث الثاني من أحاديث الباب عنده، وهو قول معاوية رضي الله عنه: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: « مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْراً يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ، وَإِنَّمَا أَنَا قَاسِمٌ وَيُعْطِي اللهُ، وَلَنْ يَزَالَ أمر هذه الأمة مستقيماً حتى تقوم الساعة أو حتى يأتي أمر الله ».

ووجه هذا التخصيص - والله أعلم - ما ذكره الكرماني (ت:٧٨٦هـ): « فإن قلت: ليس في الباب ما يدل على أنهم أهل العلم على ما ترجم عليه. قلت: نعم فيه، إذ من جملة الاستقامة أن يكون فيهم الفقيه والمتفقه، ولابد منه لترتبط الأخبار المذكورة بعضها بالبعض »[٣].

---

(١) اكتفيت بنقل واحد من كل تخصيص . وللاستزادة انظر: شرف أصحاب الحديث، محمد سعيد خطيب أوغلي صـ ٢٥-٢٧ .

(٢) صحيح البخاري (١٧/ ١٢٣) .

(٣) صحيح البخاري بشرح الكرماني (٢٥ / ٥٨)، في كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة: باب قول النبي ﷺ: « لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق يقاتلون » وهم أهل العلم، برقم (٦٨٦٨) .

ب- قَالَ الترمذي: قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ (البخاري): قَالَ عَلِيُّ بْنُ الْمَدِينِيِّ (ت: ٢٣٤هـ) هُمْ أَصْحَابُ الْحَدِيثِ[١].

جـ- قال الإمام أحمد (ت: ٢٤١هـ): « إن لم تكن هذه الطائفة المنصورة أصحاب الحديث فلا أدري مَنْ هم »[٢] قال الإمام ابن حجر معلِّقاً على ذلك بقوله: « وَزَعَمَ بَعْض الشُّرَّاح أَنَّهُ اسْتَفَادَ ذَلِكَ مِنْ حَدِيث مُعَاوِيَة، لأَنَّ فِيهِ « مَنْ يُرِد اللهُ بِهِ خَيْراً يُفَقِّهْهُ فِي الدِّين »، وَهُوَ فِي غَايَة الْبُعْد »[٣].

د- قال القاضي عياض (ت: ٥٤٤هـ) موضحاً مراد الإمام أحمد: « إِنَّمَا أَرَادَ أَحْمَدُ أَهْلَ السُّنَّة وَالْجَمَاعَة، وَمَنْ يَعْتَقِد مَذْهَب أَهْل الْحَدِيث »[٤] ومقولة القاضي هذه تزيل الإشكال الحاصل في تخصيص أهل الحديث دون غيرهم من الفقهاء والزهاد والعباد والمجاهدين.

هـ- قال الإمام البخاري في كتاب « خلق أفعال العباد » بعد إيراد قوله تعالى: ﴿تَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً﴾[٥] « هم الطائفة التي قال النبي صلى الله عليه وسلم فيها: (لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين حتى يأتي أمر الله وهم ظاهرون) »[٦].

---

(١) سنن الترمذي (٦/ ٤٣٢) في كتاب الفتن: باب ما جاء في الشام، برقم (٢١٩٢).

(٢) معرفة علوم الحديث، الحاكم ص ٣.

(٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري (١٧/ ١٢٤)، في كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة: باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: « لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق يقاتلون » وهم أهل العلم، برقم (٧٣١١).

(٤) إكمال المعلم بفوائد مسلم (٦/ ٣٥٠).

(٥) سورة البقرة: ١٤٣.

(٦) خلق أفعال العباد، محمد بن إسماعيل البخاري صـ ٤٢. وبداية الآية: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً﴾ فهو هنا إما أنه يجعل مجموع الخيرية في أمة محمد صلى الله عليه وسلم هي الطائفة المنصورة، أو أنه يقصر الأمة الوسط في الآية على العلماء. فقد نص عند تبويب الحديث في صحيحه على أن تلك الطائفة هم العلماء كما سبق.

و- قال الإمام السيوطي (ت:٩١١هـ): « أي المجتهدون، فلا يخلو الزمان من مجتهد حتى تأتي أشراط الساعة الكبرى »[١]، واستدل بالحديث على استمرار الاجتهاد إلى قيام الساعة أو مجيء أشراطها الكبرى. وقال السندي معلقاً على ذلك: « كَأَنَّ السُّيُوطِي - رَحِمَهُ الله تَعَالَى - قَصَدَ بِذَلِكَ التَّنْبِيه عَلَى صِحَّة دَعْوَاهُ، فَإِنَّهُ رَحِمَهُ الله كَانَ يَدَّعِي الاجْتِهَاد المطْلَق، وَأَهْل عَصْره أَنْكَرُوا، لَكِنَّ كَثِيراً مِمَّنْ جَاءَ بَعْده سَلَّمَ لَهُ بِذَلِكَ »[٢].

ز- قال الإمام النووي (ت:٦٧٦هـ): « قُلْت: وَيَحْتَمِل أَنَّ هَذِهِ الطَّائِفَة مُفَرَّقَة بَيْن أَنْوَاع المؤْمِنِينَ؛ مِنْهُمْ شُجْعَان مُقَاتِلُونَ، وَمِنْهُمْ فُقَهَاء، وَمِنْهُمْ مُحَدِّثُونَ، وَمِنْهُمْ زُهَّاد، وَآمِرُونَ بِالمعْرُوفِ وَنَاهُونَ عَنْ المنْكَر، وَمِنْهُمْ أَهْل أَنْوَاع أُخْرَى مِنْ الخَيْر. وَلا يَلْزَم أَنْ يَكُونُوا مُجْتَمَعِينَ، بَلْ قَدْ يَكُونُونَ مُتَفَرِّقِينَ فِي أَقْطَار الأَرْض »[٣].

والتخصيص بأهل الفقه في الدين أولى من غيره[٤]، إذ هو مستفاد من سياق النص، وعام في كل ما ورد على لسان أهل العلم آنفاً. أما قصر المعنى على بعض تلك المعاني دون

---

(١) الديباج على صحيح مسلم بن الحجاج (٢/ ٧٨٠-٧٨١).

(٢) شرح سنن ابن ماجه للسندي (١/ ٧)، في المقدمة: باب اتباع سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، برقم (٦).

(٣) صحيح مسلم بشرح النووي (٧/ ٧٧)، في كتاب الإمارة: باب لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق، برقم (١٩٢٠).

(٤) وقع تحت يدي كتاب بعنوان « أهل الحديث هم الطائفة المنصورة الناجية » نقل فيه مؤلفه بعض أقوال العلماء في أنهم أهل الحديث، وطوَّلَ في ذلك كثيراً، مع أنها بضع أقوال فحسب، ويظهر مما نقله أن مقصود العلماء بـ « أهل الحديث » أهل السنة والجماعة في مقابل الرافضين لسنة النبي صلى الله عليه وسلم والخارجين عن هدي الصحابة رضي الله عنهم. والكتاب في جملته يحوي مناقشات وجدالاً كان ولا زال سابقاً لمراحل ضعف الأمة الإسلامية ولا صلة له مطلقاً بالشرح العلمي للحديث، والذي يعتمد الاستفادة في فهم الحديث من رواياته المختلفة، ومن تفسير الكتاب والسنة واللغة لألفاظ الحديث ومقصودها.

ولو عنى العلماء المعنى الذي ذكره مؤلف هذا الكتاب حقاً لقلنا له: إن منهج أهل الحديث أن أقوال العلماء ليست وحياً منزلاً ولا سنة مقررة، ولو كانت مقصودة ومرادة لنص عليها النبي صلى الله عليه وسلم، فهو أولى ببيانها من غيره.

ويلحظ أن الكتاب يرد على كتاب بعنوان « صفة الغرباء »، وكتاب « صفة الغرباء » يلمح إلى إساءة المتأخرين في فهم أقوال المتقدمين، لكن المؤلف جعل كتابه في الدفاع عن أقوال القدماء، مع أن أحداً لم يطعن فيها !! ويظهر أن المؤلف لم ينتبه لهذا فكتاب « صفة الغرباء » يعني بعض المعاصرين الذين تركوا السنة واعتمدوا التقليد للقدماء منهجاً، فجهلوا الحديث، وذهلوا عن مقصود العلماء الباحثين.

سواها فهو تخصيص بلا مخصص معتبر شرعاً . إذ لا يستقيم أمر الأمة، ولا يحصل الثبات، ولا النصر، ولا الاستخلاف إلا مع الفقه في عموم الدين، كلٌّ بحسبه. ومن كمال الفقه في الدين رسوخ الإيمان مع العلم والعمل ؛ فالعلم والعمل بلا إيمان هو محض نفاق، وضعف الإيمان لا يكون معه ثبات عند خذلان الناس، وعلم بلا عمل وجوده كعدمه، بل لا يكون نصر ولا غيره بلا عمل، وهذا كله شامل لكل أنواع أهل الخير التي ذكرها الإمام النووي، إذ الفقه في الدين ليس خاصاً بعلم « الفقه » الذي هو العلم بالفروع، فليُعلم ذلك[١] .

وتأييد ذلك قوله سبحانه وتعالى : ﴿ **وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا** ﴾[٢] . فالآية وعدت الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالاستخلاف في الأرض أي السيادة فيها مع التتابع على إيمانهم وعملهم الصالح وعبادتهم لله عز وجل لا يشركون به شيئاً . فالمؤمنون العاملون يخلفون

(١) لفت نظري بعض الكتاب المعاصرين الذين شرحوا الحديث في كتبهم ومقالاتهم دون الرجوع إلى ألفاظ الحديث وشروحه، فأولوا ألفاظ الحديث بأمور عهدوها في أذهانهم وارتضتها نفوسهم وانتماءاتهم وجماعاتهم، فقالوا : الطائفة المنصورة عقيدتها كذا وكذا، مع أن ذلك لم يرد في الحديث . والله أعلم بتلك الأمور والآراء إن كانت مرضية عند الله عز وجل أم لا، إلا أن ذلك المنهج مخالف للمنهج العلمي للسلف في شرح حديث النبي صلى الله عليه وسلم، إذ ينبغي شرحه استناداً إلى نصوص الكتاب والسنة لا الهوى، فرب أمور تعلقت بها قلوبنا دهوراً ثم تبين لنا بعدُ زيفُها وبطلانُها . ومن حاول أن يبين ما يجب على المسلم مما ورد في الكتاب والسنة حتى يكون من الطائفة المنصورة فأقول له : لا تتعب نفسك في الكتابة، فالحديث شامل لكل ما هو من الدين، فهل تملك من الطاقة أو يسعك الوقت لتكتب كل ما جاء به هذا الدين من الأصول والفروع ؟! فلماذا التخصيص بجزء من الدين دون غيره ؟! هل هو نوع من تقسيم الإسلام إلى أنواع (إسلام عقدي، وإسلام فقهي، وإسلام فكري، وصاحب كل نوع لا يعلم ما عند الآخر ويخلط في الدين كما شاء، لنترحم بعد انتشار الجهل على من مضى من علماء الأمة)، أم هو تلبيس على المسلمين ليتمسكوا بجزء دون جزء لأهميته وأفضليته على غيره في نظر بعض الناس ؟!.

(٢) سورة النور : ٥٥ .

الكفار في الأرض، ويخلف بعضهم بعضاً ما بقوا ملتزمين بأمر الله . وكذا الحديث وعدهم بذات الشيء .

وهذا المعنى للطائفة لا يمنع من تنوع أفرادها في مصالح الأمة، كما سيأتي عند بيان معنى الحق .

« **مِنْ أُمَّتِي** » :

في هذه العبارة مسألتان :

المسألة الأولى: معنى « مِنْ » : فـ« مِنْ » هنا للتبعيض . وقد ورد في رواية للبخاري لفظ : « لَنْ تَزَالَ هَذِهِ الأُمَّةُ »، فعلّق ابن حجر على ذلك بقوله : « يعني بعض الأُمّة، كما يَجِيء مُصرّحاً به في الخمس والاعتصام »[١] .

ويصح أن تكون بيانية أيضاً، أي: هي من أمة محمد صلى الله عليه وسلم لا من غيرها، كما سيتضح ذلك في المسألة التالية .

والعبارة تحتمل المعنيين، والنصوص كذلك تؤيدهما، ولا تعارض . فالأول يفيد التبعيض، والثاني يثبت لهذه الأمة مزية لم تكن لغيرها من الأمم .

المسألة الثانية : قوله صلى الله عليه وسلم: « مِنْ أُمَّتِي » هل يدل على اختصاص أمته صلى الله عليه وسلم بهذه المزية، وهي ظهورهم على الحق والقتال دون فتور ؟

أما ظهور الأمم السابقة على الحق فهذا منتف بضلالهم أو بتحريفهم لكتبهم السماوية وشرائعهم أو بهما معاً، حتى لم يعد للحق ظهور، بل غدا التوحيد مستهجناً في مجتمعاتهم قبل بعثة النبي صلى الله عليه وسلم، ثم زادوا على ذلك بتبني الإلحاد في أحيان أو بالتمادي في الطغيان في أحيان أخرى .

(١) أي في موضع الحديث من كتابَيّ : الخمس، والاعتصام بالكتاب والسنة من البخاري .

أما القتال فقد قال تعالى عن بني إسرائيل: ﴿ يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلا تَرْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا خَاسِرِينَ ﴾ إلى قوله عز وجل: ﴿ قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا أَبَدًا مَّا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ * قَالَ رَبِّ إِنِّي لا أَمْلِكُ إِلاَّ نَفْسِي وَأَخِي فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ * قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الأَرْضِ فَلا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴾(١).

وما ذكره الله عز وجل في حق بني إسرائيل يتكرر في المسلمين نحو القذة بالقذة. والفرق أن ترك القتال كان عاماً في كل بني إسرائيل حتى اشتكى موسى عليه السلام إلى ربه بما قاله في آخر الآيات، أما المسلمون فلا تزال طائفة صابرة مجاهدة لا يضرها من خذلها في كل بلد من بلدان المسلمين المحتلة، وفي بيت المقدس وأكناف بيت المقدس على وجه الخصوص. حتى إذا غدت بلاد المسلمين كلها محتلة أو شبه محتلة كان القتال الأخير قتال طائفة منهم للدجال. فجهاد المسلمين مستمر في كل زمان، خلافاً لبني إسرائيل الذين انقطع قتالهم بموقفهم السابق، وإن قاتل بعضهم بعد موسى عليه السلام كما قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلإِ مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَّهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلاَّ تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلاَّ نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلاَّ قَلِيلاً مِّنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴾(٢).

فلما بعث الله عيسى عليه السلام لم يكن بين مولده ومولد النبي صلى الله عليه وسلم إلا قريباً من ٥٧٠ سنة، بدأت باضطهاد بني إسرائيل لأتباعه فلم يكن قتال مع ما خُيِّلَ لهم من قتل عيسى عليه السلام، ثم أفرطوا في الترهب حتى تركوا القتال، إلى أن حرفوا شرائعهم أو حُرِّفَت. وأياً كان سبب تركهم للقتال ـ طبيعة تشريعهم أو تحريفهم له ـ فقد تركوا القتال أو انقطعوا عنه في بعض أجيالهم.

(١) سورة المائدة: ٢١-٢٦.

(٢) سورة البقرة: ٢٤٦.

وينبغي التنبيه إلى أن الجهاد والقتال كغيره من تشريعات الإسلام، يُبقي الله جل جلاله عليه طائفة من المسلمين يحصل بهم حفظ ذلك التشريع، وذلك معلومٌ من عموم روايات الحديث. وتشريع القتال اندرس وبدلت أحكامه كغيره من التشريعات في الأمم السابقة بانحراف وتحريف القائمين عليه، ثم بعث الله النبيَّ صلى الله عليه وسلم فنُسِخَت تلك التشريعات جملة وتفصيلاً.

« **عَلَى** »:

ورد في طريق معاوية خاصة: « قَائِمَةً عَلَى أَمْرِ اللهِ » بدلاً من « عَلَى الحقِّ ظَاهِرِينَ ». والمراد ثباتهم على هذا الدين، ففي اللغة « قام على الأمر: دام وثبت »[١]، ومن ذلك قول حكيم بن حزام رضي الله عنه: « بَايَعْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم أَنْ لا أَخِرَّ إِلا قَائِماً »[٢]، أي: لا أموت إلا ثابتاً على الإسلام[٣].

وفي أخرى من طريق معاوية أيضاً: « قَائِمَةٌ بِأَمْرِ اللهِ »، وهي بمعنى الرواية الأولى. قال ابن منظور: « والقائم بالدين: المستمسك به الثابت عليه » ثم ذكر حديث حكيم بن حزام رضي الله عنه السابق[٤]. قال أبو عبيد: « معناه بايعت ألا أموت إلا ثابتاً على الإسلام والتمسك به، وكل من ثبت على شيء وتمسك به فهو قائم عليه »[٥].

وعلى كلا الروايتين (على أو الباء) لا أرى جواز قصر تلك العبارة على شيء من فروض الدين وواجباته دون الأخرى، كالدعوة، أو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أو

(١) المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى وآخرون صـ ٧٦٧.

(٢) سنن النسائي (٢ / ٢٠٥) في كتاب التطبيق: باب كيف يخر للسجود، برقم (١٠٨٤)، ومسند أحمد (٣ / ٤٠٢) في مسند حكيم بن حزام عن النبي صلى الله عليه وسلم من مسند المكيين، برقم (١٤٨٨٨). وانظر الكلام على هذا الحديث في شرح النسائي وحاشية السندي.

(٣) القاموس المحيط صـ ١٠٣٩، مادة « ق و م ».

(٤) لسان العرب (٥ / ٣٧٨٣)، مادة « ق و م ».

(٥) غريب الحديث (٤ / ٩٣)، برقم (٥٤٧).

الجهاد أو غير ذلك، فلفظ الحديث عام، وقصره على بعض المعاني دون غيرها تخصيص لا يدل عليه اللفظ لغة، ولم يرد ما يدل عليه من كتاب أو سُنّة [١] .

« **الحقّ** »:

الحق بالتعريف هو الحق المطلق الذي مصدره الحق سبحانه وتعالى، لا ما يراه الناس حقاً بأفهامهم القاصرة . ويترتب على ذلك ما يلي:

١– الحق هنا (بالتعريف) هو دين الإسلام بأصوله وفروعه، أو مجموع ما خوطبت به هذه الأمة .

وقد تظاهرت النصوص على ذلك في كتاب الله العزيز: ﴿**إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيراً وَنَذِيراً**﴾ [٢] – ﴿**نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ**﴾ [٣] – ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِن رَّبِّكُمْ فَآمِنُوا خَيْرًا لَّكُمْ**﴾ [٤] –﴿**وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ**﴾ [٥]، وغيرها من الآيات كثير . ويؤيد ذلك رواياتٌ أخرى للحديث:

أ– رواية جابر بن سمرة رضي الله عنه: « لَنْ يَبْرَحَ هَذَا الدِّينُ قَائِماً »: فقد فسّرت هذه الرواية « الحق » بـ« الدِّينُ ».

وأوضح من ذلك حديث أبي أمامة رضي الله عنه: « لا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي عَلَى الْدِّينِ ظَاهِرِينَ ».

---

(١) جاء في كتاب صفة الغرباء صـ ١٧٠–١٧٥ أن قيامهم بأمر الله يعني: حمل راية الدعوة، والقيام بمهمة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والقيام بواجب الجهاد في سبيل الله .

ولا خلاف في أن هذه العبارة من الحديث شاملة لهذه الأمور، لكنها غير قاصرة عليها، بل هي شاملة لها ولغيرها أيضاً . أما الجهاد فيستفاد من روايات أخرى غير لفظ معاوية: « قَائِمَةٌ بِأَمْرِ اللهِ »، فليُعلم .

(٢) سورة البقرة: ١١٩ .

(٣) سورة آل عمران: ٣ .

(٤) سورة النساء: ١٧٠ .

(٥) سورة الأنعام: ٦٦ .

ب- رواية أبي هريرة ومعاوية وعقبة بن عامر رضي الله عنهم بلفظ: « عَلَى أَمْرِ اللهِ ». إذ فسّرت الحق بـ« أَمْرِ اللهِ ».

قال السندي: « أَيْ بِأَمْرِهِ، أَيْ بِشَرِيعَتِهِ وَدِينِهِ وَتَرْوِيجِ سُنَّةِ نَبِيِّهِ، أَوْ بِالْجِهَادِ مَعَ الْكُفَّارِ »[١].

قال تعالى: ﴿**حَتَّىٰ جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَارِهُونَ**﴾[٢]، جاء في تفسير الجلالين: « ﴿**ظَهَرَ**﴾: عزَّ، ﴿**أَمْرُ اللَّهِ**﴾: »[٣]. وقال عز وجل: ﴿**وَآتَيْنَاهُم بَيِّنَاتٍ مِّنَ الْأَمْرِ... ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا**﴾[٤]، وفي تفسير الجلالين أيضاً: « ﴿**بَيِّنَاتٍ مِّنَ الْأَمْرِ**﴾: أمر الدين، من الحلال والحرام، وبعثة محمد عليه أفضل الصلاة والسلام .. ﴿**عَلَىٰ شَرِيعَةٍ**﴾: طريقة، ﴿**مِّنَ الْأَمْرِ**﴾: أمر الدين »[٥].

وفي رواية أحمد لطريق أبي هريرة رضي الله عنه: « عَلَى هَذَا الأَمْرِ »، و« الـ » هنا للعهد، أي على هذا الأمر المعهود والمعلوم وهو الإسلام.

جـ- طريق معاوية رضي الله عنه: « وَلَنْ يَزَالَ أَمْرُ هَذِهِ الأُمَّةِ مُسْتَقِيماً ». فكونهم على الحق يقتضي كونهم عليه قولاً وعملاً. وهو ذاته بقاء أمرهم مستقيماً، إذ بقاء أمر الأمة مستقيماً يكون بحفظها – قلّت أو كثُرت – عن الزيغ عن الحق إلى الضلال، وبتثبيتها على العمل بذلك الحق حتى لا تكون من المغضوب عليهم. وبذلك جاء الدعاء في سورة الفاتحة: ﴿**اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ**﴾[٦].

---

(١) شرح سنن ابن ماجه للسندي (١/٧)، في المقدمة: باب اتباع سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، برقم (٧).

(٢) سورة التوبة: ٤٨.

(٣) تفسير الجلالين صـ ١٩٥.

(٤) سورة الجاثية: ١٧، ١٨.

(٥) تفسير الجلالين صـ ٥٠٠.

(٦) سورة الفاتحة: ٦ – ٧.

وقد مرَّت سابقاً أقوال العلماء في ماهية الطائفة والترجيح في ذلك .

٢- لا يمكن للحق أن يتجزأ إلا تبعاً لتنوع ما يقوم به أفراد هذه الأمة من أمْر هذا الدين، كلٌ فَقِهَ اختصاصَه وعَمِلَ به في مصالح الأمة، فالصحابة رضي الله عنهم - الذين فقهوا الدين عملياً عن النبي صلى الله عليه وسلم - كلهم من تلك الطائفة، ومع ذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم فيهم: « أَرْحَمُ أُمَّتِي بِأُمَّتِي أَبُو بَكْرٍ، وَأَشَدُّهُمْ فِي دِينِ اللهِ عُمَرُ، وَأَصْدَقُهُمْ حَيَاءً عُثْمَانُ، وَأَقْضَاهُمْ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، وَأَقْرَؤُهُمْ لِكِتَابِ اللهِ أُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ، وَأَعْلَمُهُمْ بِالحلالِ وَالحرَامِ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ، وَأَفْرَضُهُمْ زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ، أَلا وَإِنَّ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَمِيناً، وَأَمِينُ هَذِهِ الأُمَّةِ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الجرَّاحِ »(١) .

٣- تلك الطائفة تجتهد بفقهها لتصل إلى ما تراه حقاً، إلا أنها لا تختلف مع غيرها فيما تستنبطه الأفهام وتحتمله النصوص، لأن أفهام البشر ليست حقاً مطلقاً .

٤- الحق المطلق يشمل الأصول والفروع: فيشمل الأحكام التكليفية الخمسة (فرض أو واجب أو فرض كفائي، ومحرم، ومكروه، ومستحب، ومباح) . والقيام على أمر الله الوارد في الروايات الأخرى يقتضي القيام بها جميعاً قدر المستطاع، قال عز وجل: ﴿ **فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ** ﴾(٢) . فما كان واجباً فهم متمسكون به أصالة دون تهاون أو فتور، وما يعدّه بعض الناس فرضاً كفائياً هم أسرع الناس إليه، وما كان مستحباً يهتمون بالتزامه، عملاً بقول النبي صلى الله عليه وسلم: « أَفَلا أَكُونُ عَبْداً شَكُوراً »(٣)، وما كان مكروهاً يتركونه

(١) سنن الترمذي (١٠ / ٢٧٢) في كتاب المناقب: باب مناقب معاذ بن جبل وزيد بن ثابت وأبي بن كعب وأبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنهم، برقم (٣٧٩٠، ٣٧٩١)، وقال: هذا حديث حسن صحيح، وسنن ابن ماجه في المقدمة: باب فضائل خباب رضي الله عنه، برقم (١٥٥) واللفظ له، وأحمد (٣ / ١٨٤، ٢٨١) في مسند أنس بن مالك رضي الله عنه من باقي مسند المكثرين، برقم (١٢٤٩٣، ١٣٥٧٨) .

(٢) سورة التغابن: ١٦ .

(٣) صحيح البخاري في كتاب الجمعة: باب قيام النبي صلى الله عليه وسلم الليل، برقم (١١٣٠)، وصحيح مسلم في كتاب صفة القيامة والجنة والنار: باب إكثار الأعمال والاجتهاد في العبادة، برقم (٢٨١٩).

وما كان حراماً لا يقربونه إلا على حين غفلة، أما المباحات فلا تتعلق قلوبهم بها تعلقاً يشغلهم عن حقوق الله أو العباد .

أما غيرهم من عوام الناس فلا يأخذون القيام بأمر الله منهجاً، فقد يفتر بعضهم في أدائه لبعض الواجبات، أو تعجز نفسه فيدعي أنه لا يملك لتأدية الواجب حيلة، ويرى بعضهم الآخر أنَّ غيرَه يوَفِّي بالفرض الكفائي، فلا علاقة له به، وآخرون منهم يكونون أبعد الناس عن المستحب تهاوناً به، ويتعذرون بأنه لا إلزام فيه، وناسٌ منهم يصرّون على المعاصي .

فهيهات بين من يطمح أن يكون مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وبين من غاية أمانيه أن ينجو يوم القيامة من الهلاك ولو على خطر . وهذا هو الفرق بين تلك الطائفة والفرقة الناجية التي وردتْ في حديث تفرق هذه الأمة كتفرق اليهود والنصارى، إذ كل مسلم ناج إن تغمده الله برحمته، ولكن ليس كل مسلم مع الذين أنعم الله عليهم .

« **ظَاهِرِينَ** » :

قال ابن حجر: « أَيْ غَالِبُونَ، أَوْ الْمُرَادُ بِالظُّهُورِ أَنَّهُمْ غَيْرُ مُسْتَتِرِينَ بَلْ مَشْهُورُونَ، وَالأَوَّلُ أَوْلَى »[١] وكلا المعنيين يتوجه بحسبه والله أعلم، إذ لا تعارض بينهما .

وجاء في رواية لثوبان بن بجدد وقرة بن إياس رضي الله عنهما : « مَنْصُورِينَ »، وهو اللفظ الذي درج الناس على تسمية الحديث والطائفة به، فيقال : « الطائفة المنصورة، وحديث الطائفة المنصورة » وهذا الإطلاق له وجهه، لأن ما أثبته الحديث للطائفة من أنواع التشريف (الظهور، وعدم لحوق الضرر بهم، والقهر للعدو) هو من أنواع النصر . ولهذا عنونت لأنواع التشريف تلك بـ« النصر » كالآتي :

---

(١) فتح الباري (١٧ / ١٢٥)؛ في كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة: باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: « لا تزال طائفة .. »، برقم (٧٣١١) .

أولاً: **النصر الفكري**: ويندرج تحت ذلك أنواع من النصر:

١- **النصر الفكري المجرد**: هذا على رواية: « ظَاهِرِينَ عَلَى الحَقِّ »، « ظَاهِرِينَ: أَيْ غَالِبِينَ عَلَى الْبَاطِلِ وَلَوْ حُجَّةً »[١]، وسيأتي قول السندي: « مَنْصُورِينَ: أَيْ بِالحُجَجِ وَالْبَرَاهِينِ، أَوْ بِالسُّيُوفِ وَالأَسِنَّة. فَعَلَى الأَوَّلِ هُمْ أَهْلُ الْعِلْمِ، وَعَلَى الثَّانِي الْغُزَاة »[٢] وهذا حاصل بما آتاهم الله من العلم والفقه في الدين، ففي أول رواية معاوية: « مَنْ يُرِدْ اللهُ بِهِ خَيْراً يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ، وَإِنَّمَا أَنَا قَاسِمٌ وَاللهُ يُعْطِي ».

٢- **النصر الفكري الاجتماعي**: وهذا على معنى الاشتهار في رواية المغيرة رضي الله عنه: « ظَاهِرِينَ عَلَى النَّاسِ ». ففي الوقت الذي يصبح فيه الناس إمعة يتبع بعضهم بعضاً في الخير والشر، يكون المؤمن ظاهراً مستقلاً في قراره عنهم تابعاً للنص حيث كان، وقد جاء في رواية معاوية رضي الله عنه: « ظَاهِرِينَ عَلَى مَنْ خَالَفَهُمْ » وفي ذلك يقول النبي صلى الله عليه وسلم: « لا تَكُونُوا إِمَّعَةً ؛ تَقُولُونَ إِنْ أَحْسَنَ النَّاسُ أَحْسَنَّا وَإِنْ ظَلَمُوا ظَلَمْنَا، وَلَكِنْ وَطِّنُوا أَنْفُسَكُمْ ؛ إِنْ أَحْسَنَ النَّاسُ أَنْ تُحْسِنُوا، وَإِنْ أَسَاءُوا فَلا تَظْلِمُوا »[٣].

٢- **النصر الفكري السياسي**: وهذا يحصل على المعنيين معاً (الغلبة والاشتهار) في رواية معاوية وعمران بن حصين رضي الله عنهما: « ظَاهِرِينَ عَلَى مَنْ نَاوَأَهُمْ ». قال النووي: « أَيْ: عَادَاهُمْ، وَهُوَ مَأْخُوذ مِنْ نَأَى إِلَيْهِمْ وَنَأَوْا إِلَيْهِ، أَيْ نَهَضُوا لِلْقِتَالِ »[٤].

فالظهور على مَنْ عاداهم من المسلمين واضح في النقطتين السابقتين.

---

(١) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي (٦ / ٤٨٣)، في كتاب الفتن: باب ما جاء في الأئمة المضلين، برقم (٢٢٢٩).

(٢) شرح سنن ابن ماجه للسندي (١ / ٧)، في المقدمة: باب اتباع سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، برقم (٦).

(٣) سنن الترمذي (٦ / ١٣٥) في كتاب البر والصلة: باب ما جاء في الإحسان والعفو، برقم (٢٠٠٧).

(٤) صحيح مسلم بشرح النووي (٧ / ٧٧) في كتاب الإمارة: باب قوله صلى الله عليه وسلم: « لا تزال طائفة .. »، برقم (١٠٣٧).

أما من عاداهم من غير المسلمين فهما نوعان: الكفار والمنافقون. فاشتهار المسلمين على الكافرين معلوم، وكذا اشتهار المسلمين على المنافقين في عصور عزة المسلمين وقوّتهم معلوم أيضاً، فالمنافقون حينئذ يخنعون ويذلون.

ومحل الإشكال اشتهارهم على المنافقين عند الفتن واختلاط الأمور وفشو الجهل، فقد أثبت الحديث ظهور تلك الطائفة واشتهارها على المنافقين مطلقاً. ويحصل ذلك بصبرهم على ما يلاقون من المنافقين من التنكيل والمحن، فقد قَالَ عَبْدُ اللهِ بنُ أُبَيّ ابْن سَلُول: أَقَدْ تَدَاعَوْا عَلَيْنَا، لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى المدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الأَعَزُّ مِنْهَا الأَذَلَّ - يريد النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضي الله عنهم - فَقَالَ عُمَرُ رضي الله عنه: أَلا نَقْتُلُ يَا رَسُولَ اللهِ هَذَا الخبِيثَ - لِعَبْدِ اللهِ - فَقَالَ النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم: «لا يَتَحَدَّثُ النَّاسُ أَنَّهُ كَانَ يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ»(١) فالصبر على المنافقين يؤكد للناس ثباتهم على مبادئهم، والإعراض عن المنافقين - مع ما يلاقون من إيذائهم - يدفع المنافقين إلى التمادي في الباطل، فيزيد الله بذلك ظهورهم واشتهارهم على المنافقين حتى يُميّزهم عنهم. ومصداق ذلك ما قاله عَبْدُاللهِ بْنُ عُمَرَ: كُنَّا قُعُوداً عِنْدَ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم، فَذَكَرَ الْفِتَنَ فَأَكْثَرَ في ذِكْرِهَا، حَتَّى ذَكَرَ فِتْنَةَ الأَحْلاسِ، فَقَالَ قَائِلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ، وَمَا فِتْنَةُ الأَحْلاسِ؟ قَالَ: «هِيَ هَرَبٌ وَحَرْبٌ، ثُمَّ فِتْنَةُ السَّرَّاءِ، دَخَنُهَا مِنْ تَحْتِ قَدَمَيْ رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي يَزْعُمُ أَنَّهُ مِنِّي وَلَيْسَ مِنِّي، وَإِنَّمَا أَوْلِيَائِي المتَّقُونَ، ثُمَّ يَصْطَلِحُ النَّاسُ عَلَى رَجُلٍ كَوَرِكٍ عَلَى ضِلَعٍ، ثُمَّ فِتْنَةُ الدُّهَيْمَاءِ، لا تَدَعُ أَحَداً مِنْ هَذِهِ الأُمَّةِ إِلا لَطَمَتْهُ لَطْمَةً، فَإِذَا قِيلَ انْقَضَتْ تَمَادَتْ، يُصْبِحُ الرَّجُلُ فِيهَا مُؤْمِناً وَيُمْسِي كَافِراً، حَتَّى يَصِيرَ النَّاسُ إِلَى فُسْطَاطَيْنِ: فُسْطَاطِ إِيمَانٍ لا

---

(١) صحيح البخاري (٨/ ٤١٥) في كتاب المناقب: باب ما ينهى من دعوة الجاهلية، برقم (٣٥١٨)، و (١١/ ٤٢، ٤٧) في كتاب تفسير القرآن: باب قوله: ﴿ سواء عليهم أستغفرت لهم أم لم تستغفر ﴾، برقم (٤٩٠٥)، وباب قوله: ﴿ يقولون لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن .. ﴾، برقم (٤٩٠٧)؛ وصحيح مسلم (٨/ ٣٨٢) في كتاب البر والصلة والآداب: باب نصر الأخ ظالماً أو مظلوماً، برقم (٢٥٨٤).

نِفَاقَ فِيهِ، وَفُسْطَاطِ نِفَاقٍ لا إِيمَانَ فِيهِ، فَإِذَا كَانَ ذَاكُمْ فَانْتَظِرُوا الدَّجَّالَ مِنْ يَوْمِهِ أَوْ مِنْ غَدِهِ »[١] فانظر كيف قال النبي صلى الله عليه وسلم: « فُسْطَاطِ إِيمَانٍ لا نِفَاقَ فِيهِ، وَفُسْطَاطِ نِفَاقٍ لا إِيمَانَ فِيهِ »، ولم يقل: فسطاط إيمان لا كفر فيه .

وافتضاح أمر المنافقين أمام الناس على هذه الصورة هو عين الغلبة السياسية لتلك الطائفة عليهم، وبذلك يتحقق المعنى الثاني للظهور وهو الغلبة .

ثانياً: النصر النفسي: الضرر الذي نفاه الحديث عنهم هو ما يقع في نفوسهم لا ما يقع على أبدانهم، فقد ورد نفي الضرر على ثلاث صور: « لا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ »، و« لا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ »، و « مَا يَضُرُّهُم مَنْ كَذَّبَهُمْ »، وكلها معانٍ نفسية معنوية . بل ورد النص في بعض الروايات على حصول الشدَّة، وهو الأذى في الأموال والأبدان وغيرها، فقال صلى الله عليه وسلَّم: « إِلا مَا أَصَابَهُمْ مِنْ لأْوَاءَ ».

فإيمان تلك الطائفة يمنحها الصبرَ في مواجهة أشد ما يمكن أن يتعرض له الإنسان من خذلان أو ضغطٍ نفسي، ويظهر ذلك في الحديث في أربعة اتجاهات:

١ – انتصار على نزوات النفس: وذلك بثباتهم على الحق في مواجهة إغراءات الشهوة وإغواء الشياطين إنسها وجنها . وفي أشد أنواع الصبر عن ذلك الإغراء والإغواء يقول النبي صلى الله عليه وسلم: « يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ الصَّابِرُ فِيهِمْ عَلَى دِينِهِ كَالْقَابِضِ عَلَى الجمْرِ »[٢] .

٢– ثباتهم على الحق في مواجهة أنواع المحن والفتن، فلا يؤثِّر في نفوسهم ما يفعله المنافقون من كيد للمؤمنين وتخذيل ونكاية بهم . وهذا معروفٌ قديماً وحديثاً، ففي عهد

---

(١) سنن أبي داود (٤ / ٩٤) في كتاب الفتن والملاحم: باب ذكر الفتن ودلائلها، برقم (٤٢٤٢)، ومسند أحمد (٢ / ١٣٣) في مسند عبد الله بن عمر رضي الله عنه من مسند المكثرين من الصحابة، برقم (٦١٣٣) . قال العظيم آبادي: « والحديث سكت عنه المنذري، ورواه الحاكم وصححه، وأقره الذهبي » . انظر عون المعبود شرح سنن أبي داود (١١ / ٣١٢) .

(٢) سنن الترمذي (٦ / ٥٣٦) في كتاب الفتن: باب ما جاء في النهي عن سبِّ الرياح، برقم (٢٢٦٠)، وقال: « هذا حديث غريب من هذا الوجه »، ففي سنده عمر بن شاكر وهو ضعيف .

الرسول صلى الله عليه وسلم رجع المنافقون (ومَنْ سمع لقولهم) يوم أحد، وفي عصور أخرى كان مَنْ يقاتل المحتلَ الغاصب المستبيح للحرمات يُقتل ويُضطهد من المنافقين . ولم يؤثِّر شيء من ذلك في نفوس المؤمنين الثابتين قديماً ولا حديثاً، بل زادهم يقيناً على يقين، وإصراراً على إصرار .

٣- رواية أبي هريرة رضي الله عنه : « وَلا يَضُرُّهُمْ خِلافُ مَنْ خَالَفَهُمْ » : في الوقت الذي يستهجن فيه الناس من خالفهم ولو كان المخالف على الحق، فإنه لا تتأثر نفس الفرد من تلك الطائفة باستهجان المستهجنين من الناس، ولا بإلحاح مَنْ يتأثر بالناس مِنْ نسائه وأولاده . وهذا مع ما سبق من ظهوره عليهم .

٤- قوله صلى الله عليه وسلم : « لا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ » قال المباركفوري : « مَنْ خَذَلَهُمْ : أي تَرَكَ نُصرتهم ومُعَاونتهم »[١]، وقال السندي : « أي لم يعاونهم ولم ينصرهم من الخَلْق، فإنهم منصورون بالله لما فيهم من الخير﴿ **إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ** ﴾[٢] ، أي فلا يضرهم عدم نصر الغير »[٣] .

ونجد مما سبق أن نفوسهم لا تنحرف بالإغراء أو الإغواء، ولا تنهزم ولا تيأس ولا تنهار بما يصيبها من المحن، ولا تضعف أمام ضغط المجتمع المنحرف، وفوق هذا وذاك تجد نفوسهم مستغنية بالله عن غيره، فلا تنتظر معونة أحد من الخلق لينصرها .

لا انحراف ولا انهزام ولا ضعف، وفوق ذلك عزّة وشموخ، فسبحان من وهبهم الإيمان، ونسأل الله أن يجعلنا منهم .

ثالثاً : النصر الاقتصادي : جاء في أول رواية ثوبان بن بجدد عند أبي داود وابن ماجه : « وَإِنِّي سَأَلْتُ رَبِّي لأُمَّتِي أَنْ لا يُهْلِكَهَا بِسَنَةٍ بِعَامَّةٍ، وَلا يُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوّاً مِنْ سِوَى

---

(١) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي (٦ / ٤٣٢)، في كتاب الفتن : باب ما جاء في الشام، برقم (٢١٩٢) .

(٢) سورة النحل : ١٢٨ .

(٣) شرح سنن ابن ماجه للسندي (١ / ٧)، في المقدمة : باب اتباع سُنّة رسول الله صلى الله عليه وسلم، برقم (٦) .

أَنْفُسِهِمْ فَيَسْتَبِيحَ بَيْضَتَهُمْ . وَإِنَّ رَبِّي قَالَ لِي : يَا مُحَمَّدُ إِنِّي إِذَا قَضَيْتُ قَضَاءً فَإِنَّهُ لا يُرَدُّ، وَلا أُهْلِكُهُمْ بِسَنَةٍ بِعَامَّةٍ »، والسنة : الجدب والقحط [١] . وهذا عامٌّ في أمة محمد صلى الله عليه وسلم، وهو حاصل لهذه الطائفة بطريق الأولى .

بل هو حاصل لتلك الطائفة بطريق الإكرام والتأييد، ففي عهد النبي صلى الله عليه وسلم لما بلغ الجهد والجوع بالمسلمين مبلغه في الشعب هيأ الله لهم من ينقض الصحيفة، فلما فتحوها وجدوا الأرضة قد أكلت جميع ما فيها إلا اسم الله تعالى . هذا فيما مضى، أما فيما يأتي من الأيام فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم : « وَإِنَّ قَبْلَ خُرُوجِ الدَّجَّالِ ثَلاثَ سَنَوَاتٍ شِدَادٍ، يُصِيبُ النَّاسَ فِيهَا جُوعٌ شَدِيدٌ، يَأْمُرُ اللهُ السَّمَاءَ فِي السَّنَةِ الأُولَى أَنْ تَحْبِسَ ثُلُثَ مَطَرِهَا، وَيَأْمُرُ الأَرْضَ فَتَحْبِسُ ثُلُثَ نَبَاتِهَا، ثُمَّ يَأْمُرُ السَّمَاءَ فِي الثَّانِيَةِ فَتَحْبِسُ ثُلُثَيْ مَطَرِهَا، وَيَأْمُرُ الأَرْضَ فَتَحْبِسُ ثُلُثَيْ نَبَاتِهَا، ثُمَّ يَأْمُرُ اللهُ السَّمَاءَ فِي السَّنَةِ الثَّالِثَةِ فَتَحْبِسُ مَطَرَهَا كُلَّهُ فَلا تُقْطِرُ قَطْرَةً، وَيَأْمُرُ الأَرْضَ فَتَحْبِسُ نَبَاتَهَا كُلَّهُ فَلا تُنْبِتُ خَضْرَاءَ، فَلا تَبْقَى ذَاتُ ظِلْفٍ إِلا هَلَكَتْ، إِلا مَا شَاءَ اللهُ »، قِيلَ : فَمَا يُعِيشُ النَّاسَ فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ ؟ قَالَ : « التَّهْلِيلُ وَالتَّكْبِيرُ وَالتَّسْبِيحُ وَالتَّحْمِيدُ، وَيُجْرَى ذَلِكَ عَلَيْهِمْ مُجْرَى الطَّعَامِ » [٢] .

رابعاً : النصر العسكري : ورد في رواية ثوبان عند أبي داود وابن ماجه : « وَلا أُسَلِّطُ عَلَيْهِمْ عَدُوّاً مِنْ سِوَى أَنْفُسِهِمْ فَيَسْتَبِيحَ بَيْضَتَهُمْ، وَلَوْ اجْتَمَعَ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِ أَقْطَارِهَا - أَوْ قَالَ - بِأَقْطَارِهَا، حَتَّى يَكُونَ بَعْضُهُمْ يُهْلِكُ بَعْضاً، وَحَتَّى يَكُونَ بَعْضُهُمْ يَسْبِي بَعْضاً » .

---

(١) القاموس المحيط صـ١١٦٧، مادة « س ن و » .

(٢) سنن ابن ماجه (٤ / ٤٤٨) في كتاب الفتن : باب فتنة الدجال وخروج عيسى ابن مريم، برقم (٤٠٧٧)، ومسند أحمد (٦ / ٧٦، ١٢٥) في حديث السيدة عائشة رضي الله عنها من باقي مسند الأنصار، برقم (٢٣٩٤٩، ٢٤٤٢٣)، و(٦ / ٤٥٤) في حديث أسماء ابنة يزيد رضي الله عنها من مسند القبائل، برقم (٢٧٠٢١) . وإسناد حديث أبي أمامة عند ابن ماجه فيه إسماعيل بن رافع وهو ضعيف الحفظ . انظر تقريب التهذيب صـ١٠٧ . وحديث عائشة عند أحمد فيه ابن جدعان وهو ضعيف، والحسن البصري لم يصح سماعه من عائشة فيما ذكر المزي في تهذيب الكمال (٦ / ٩٧)، وحديث أسماء فيه شهر بن حوشب وهو ضعيف . انظر تعليق محققي مسند الإمام أحمد طبعة مؤسسة الرسالة (٤١ / ١٨)، (٤٥ / ٥٤٨) .

وهذا أيضاً عام في أُمّة النبي محمد صلى الله عليه وسلم، إلا أنه مخصوص في حالة دفع العدو دون الغزو، وفي حالة الأمن من الفتنة . أما في حق تلك الطائفة فإن النصر عامٌ في حالة الدفع والغزو معاً، ففي رواية عقبة بن عامر رضي الله عنه: « لا تَزَالُ عِصَابَةٌ مِنْ أُمَّتِي يُقَاتِلُونَ عَلَى أَمْرِ اللهِ، قَاهِرِينَ لِعَدُوِّهِمْ » . أما فتنة المنافقين عند قتال العدو فمحفوظون منها بما تقدم ذكره عند النصر الفكري والنفسي .

قال السندي: « مَنْصُورِينَ: أَيْ بِالحجَجِ وَالْبَرَاهِين، أَوْ بِالسُّيُوفِ وَالأَسِنَّة . فَعَلَى الأَوَّل هُمْ أَهْلَ العِلْم، وَعَلَى الثَّانِي الْغُزَاة، وَإِلَى الأَوَّل مَالَ المصنِّف فَذَكَرَ الحدِيث فِي هَذَا البَاب[١]، فَإِنَّهُ المنْقُول عَنْ كَثِير مِنْ أَهْل العِلْم »[٢] .

ومما يُذكر هنا أن الحديث أثبت النصر لتلك الطائفة عاماً (« عَلَى الحقِّ مَنْصُورِينَ » في رواية ثوبان، « لا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي مَنْصُورِينَ » في رواية قرة بن إياس رضي الله عنهما)، فيدخل فيه كل ما ذُكر من أنواع النصر الفكري والنفسي وغيرها . أما القهر فقد ورد مقيداً (« قَاهِرِينَ لِعَدُوِّهِمْ » في رواية عقبة، « لِعَدُوِّهِمْ قَاهِرِينَ » في رواية أبي أمامة رضي الله عنهما)، « والقهر: الغَلَبَة »[٣]، أي: يغلبون عدوهم فيما يكون بينهم من سجال . والقهر والغلبة في المعارك والغزوات بينهما وبين النصر المطلق (الحسم العسكري) عموم وخصوص، والحديث أثبت الغلبة على العدو دون النصر عليه، فالأول من خصائص تلك الطائفة، فهو ملازم لها إلى يوم القيامة، والثاني يهبه الله عز وجل لها متى شاء ويمنعه متى شاء .

فإن قيل: هُزِمَ الصحابة رضي الله عنهم يوم أحد وحنين !! كان الجواب :

---

(١) أي باب اتباع سُنّة رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ابن ماجه .

(٢) شرح سنن ابن ماجه للسندي (١/٧)، في المقدمة: باب اتباع سُنّة رسول الله صلى الله عليه وسلم، برقم (٦) .

(٣) القاموس المحيط صـ ٤٢١، مادة « ق هـ ر » .

١– قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِ حَتَّىٰ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّن بَعْدِ مَا أَرَاكُم مَّا تُحِبُّونَ مِنكُم مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴾[١] ، فانظر تأكيد الوعد بالغلبة في أول الآية، وهذا تأييد لمعنى الحديث، ثم انظر سبب الهزيمة في آخرها، ثم الحظ أخيراً قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ ﴾ ، فلم يقل : هزمكم، ولا صرفهم عنكم .

٢– قوله تعالى : ﴿ لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا ﴾[٢] . فانظر كيف قيّدت الآية النصر بالمَواطِن، ومنها يوم حنين .

فالهزيمة في الغزوتين جاءت معللة (بالفشل أو التنازع أو العصيان أو التعلق بالدنيا والقوة والغفلة عن الله)، وهذا يشير إلى أن الهزيمة على خلاف الأصل في تلك الطائفة . فالأصل أنها على الحق (الإيمان والعمل)، فتأتيها الغلبة على عدوها تبعاً لذلك، فإن أخلّت بالإيمان أو العمل في إحدى معاركها (لم تبق على الحق مؤقتاً، فكل ابن آدم خطاء) لم يعطها الله الغلبة على عدوها لإخلالها بشرط الحديث لكي تشوب ﴿ لِيَبْتَلِيَكُمْ ﴾ .

ويرد على ذلك أيضاً أن النصر العسكري يتحقق لغيرهم كما يتحقق لهم، فبماذا تكون مزية تلك الطائفة ؟!

ويجاب بأن النصر العسكري يتحقق لغيرهم مجرداً إن أخذوا بأسبابه الدنيوية والأخروية (وفي غير المسلمين الدنيوية فقط إن أراد الله لهم النصر)، أما اجتماع أنواع النصر التي سبق ذكرها (النصر الفكري والنفسي ...) فلا يتحقق لغيرهم كما هو متحقق لهم، فهذا الاجتماع لأنواع النصر من خصائصهم .

---

(١) سورة آل عمران : ١٥٢ .

(٢) سورة التوبة : ٢٥ .

« لَعَدُوِّهِمْ قَاهِرِينَ » :

والقهر هنا عام في كل أنواعه، ابتداء من القول وانتهاء بالقتال ؛ ففي الأول قال النبي صلى الله عليه وسلم لحسان بن ثابت رضي الله عنه : « اهْجُهُمْ أَوْ هَاجِهِمْ وَجِبْرِيلُ مَعَكَ »(١)، وفي الثاني وردت روايات القتال بما وردت به روايات الظهور، فقال صلى الله عليه وسلم : « يُقَاتِلُونَ عَلَى الحَقِّ » في رواية المغيرة ومعاوية وجابر بن عبد الله وعمران بن حصين وسلمة بن نفيل رضي الله عنهم، وقال صلى الله عليه وسلم أيضاً : « لَنْ يَبْرَحَ هَذَا الدِّينُ قَائِماً يُقَاتِلُ عَلَيْهِ عِصَابَةٌ » في رواية جابر بن سمرة رضي الله عنه، وقال « يُقَاتِلُونَ عَلَى أَمْرِ اللهِ » في رواية عقبة بن عامر رضي الله عنه ؛ فورد القتال على الحق والدين وأمر الله كما ورد الظهور على ذلك كله .

وفي بعض الروايات جاء الجمع بين القتال والظهور، فقال صلى الله عليه وسلم : « يُقَاتِلُونَ عَلَى الحَقِّ ظَاهِرِينَ » كما في رواية المغيرة وجابر بن عبد الله ومعاوية وعمران رضي الله عنهم . وورد القتال مع قهر العدو في رواية عقبة بن عامر رضي الله عنه : « يُقَاتِلُونَ عَلَى أَمْرِ اللهِ، قَاهِرِينَ لِعَدُوِّهِمْ ».

أما من حيث الزمان فقد بدأ القتال في عهد النبي صلى الله عليه وسلم كما في رواية سلمة بن نفيل الكندي رضي الله عنه : « كَذَبُوا، الآنَ الآنَ جَاءَ الْقِتَالُ، وَلا يَزَالُ مِنْ أُمَّتِي أُمَّةٌ يُقَاتِلُونَ عَلَى الحَقِّ »، وأما نهايته فالحديث يدل على أن القتال باقٍ إلى يوم القيامة، « لأن الطائفة القائمة به باقية إلى يوم القيامة »(٢) وسيأتي تفصيل انتهاء القتال في موضعه .

---

(١) صحيح البخاري (٨ / ٣٤) في كتاب بدء الخلق : باب ذكر الملائكة، برقم (٣٢١٣)، و (٩ / ٣٨٨) في كتاب المغازي : باب مرجع النبي صلى الله عليه وسلم من الأحزاب، برقم (٤١٢٤)، و (١٣ / ٦٨٢) في كتاب الأدب : باب هجاء المشركين، برقم (٦١٥٣)، وفي صحيح مسلم (٨ / ٢٨٤، ٢٨٦) في كتاب فضائل الصحابة : باب فضائل حسان بن ثابت رضي الله عنه، برقم (٢٤٨٦، ٢٤٩٠) .

(٢) صفة الغرباء صـ ١٧٩، وفي الطبعة خلل في ترقيم الصفحات .

قال تعالى في عموم قهر المسلمين لأعداء الإسلام: ﴿ وَلا يَطَئُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلاً إِلاَّ كُتِبَ لَهُم بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴾[١].

وينبغي التنبيه لأمرين:

١ – الحديث ذكر – في بعض الروايات – القتال دون غيره من تشريعات الإسلام، بل خصَّه دون غيره من أنواع الجهاد، وهذا كتخصيص الطائفة في بلاد الشام في بعض الروايات أيضاً، ففي ذلك مزيد تشريف وتكريم للطائفة التي تقوم بأمر القتال في سبيل الله على غيرها من الطوائف التي تقوم بباقي أمور الدين، فالأُولى تشريف بذكر المكان (الشام)، والثانية تشريف بذكر الحال (القتال) .

ولهذا أدرج أبو داود الحديث في كتاب الجهاد: باب في دوام الجهاد، والدارمي في كتاب الجهاد أيضاً، أما البخاري فقد أورده في كتاب فرض الخمس[٢]، فالحديث يُعد من فضائل القتال في سبيل الله[٣] .

وقد يكون المراد اختصاص الطائفة بالقتال، فهو ملازم لتلك الطائفة وشرط فيها، ومن تركه خرج عنها . ويؤيد ذلك المعنى قوله عز وجل: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾[٤]، وانظر تشابه سياق النصين: قوله ﷺ: « لا يضرهم خلاف مَنْ خالفهم »، وقوله تعالى:

---

(١) سورة التوبة: ١٢٠ .

(٢) برقم (٢٤٨٤، ٢٤٣٢، ٣١١٦) على التوالي .

(٣) الجهاد لفظ عام في القتال وغيره من أنواع بذل الجهد في نصرة هذا الدين، فالآيات والأحاديث نصَّت على الجهاد بالمال والنفس وبر الوالدين . أما في اصطلاح الفقهاء والمحدثين فيطلق ويراد به القتال خاصة، وذلك لتمييزه في الأحكام الفقهية عن الزكاة والصدقة وبر الوالدين وغيرها، فما يذكر في كتب الحديث من فضائل الجهاد هو من فضائل القتال في سبيل الله .

(٤) سورة المائدة: ٥٤ .

﴿ولا يخافون لومة لائم﴾ ومع القول بالاختصاص فإن أول الآية يوحي بأن الاختصاص ليس عاماً في كل زمان ومكان، بل هو خاص بأزمنة الردَّة وأمكنتها، كما حصل من الردَّة بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم، وكما حصل من تسليم البلاد والعباد في الأندلس وغيرها للعدو لقاء متاع من الدنيا قليل، والله المستعان، فالآية جاءت في سياق الحديث عن المنافقين. لكننا نجد في الحديث قوله صلى الله عليه وسلم: « مَنْ لَمْ يَغْزُ، أَوْ يُجَهِّزْ غَازِياً، أَوْ يَخْلُفْ غَازِياً فِي أَهْلِهِ بِخَيْرٍ، أَصَابَهُ اللهُ بِقَارِعَةٍ قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ »(١).

والجمع بين النصوص – والله أعلم – أن المسلم لا يكون من تلك الطائفة إلا بالقتال حقيقةً أو حُكْمَاً ؛ حقيقةً إن كان واجباً في حقه (كحالة الوجوب الواردة في هذه الآية وغيرها من النصوص)، أو حُكْمَاً بتجهيز المقاتلين وحفظ أهليهم من بعدهم إن لم يكن القتال واجباً في حقه .

ولا تعارض بين معنى التشريف والاختصاص، فيستقيم الحديث على المعنيين معاً .

٢– الحديث أثبت عموم قهر تلك الطائفة لعدوها في الزمان دون المكان، وعليه فتسلط التتر والصليبيين على بعض بلاد المسلمين قديماً لا يتعارض مع الحديث، إذ الطائفة موجودة في غيرها من بلاد المسلمين . أما تسلط المحتل بعد سقوط الخلافة على كامل العالم الإسلامي وتقسيمه، فقد هيأ الله معه لكل بلد طائفة تُنكي في العدو وتقهره، فيصدق فيها الحديث. وعليه فتلك الطائفة لم تنقطع بحال من الأحوال كما أخبر الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم .

أما الروايات التي خصصت المكان بالشام فقد سبق أن المراد منها زيادة التشريف، لا تخصيص غيرها من الروايات .

---

(١) سنن أبي داود في كتاب الجهاد: باب كراهية ترك الغزو، برقم (٢٥٠٣)، وسنن ابن ماجه في كتاب الجهاد: باب التغليظ في ترك الجهاد، برقم (٢٧٦٢)، وسنن الدارمي في كتاب الجهاد: باب فيمن مات ولم يغز، برقم (٢٤١٨) .

« لا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ »:

سبق عند الكلام عن العنصر النفسي أن الحديث يوحي بنفي لحوق بعض أنواع الضرر المعنوي بهم، دون الضرر المادي، فالخَذْل والخلاف والكذب كلّها أمور معنوية لا مادية. وسبق أيضاً توجيه تلك العبارة ضمن سياقها.

« إلا مَا أَصَابَهُمْ مِنْ لأْوَاءَ »:

قال الفيروزآبادي: « اللأْيُ: الإبطاء والاحتباس والشدة، كاللأى – كاللّعا – واللأْواء »[1] ومصداق ذلك قوله تعالى: ﴿**لَن يَضُرُّوكُمْ إِلاَّ أَذى وَإِن يُقَاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الأَدْبَارَ ثُمَّ لا يُنصَرُونَ**﴾[2].

« حَتَّى يَأْتِيَهُمْ أَمْرُ اللهِ »:

في هذا مسائل:

المسألة الأولى: رواية مسلم « إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ » تدل على أن تلك المزية ليست خاصةً بزمان دون زمان، أو جيل دون جيل، بل هو تفضيل وخيرية مستمرة في السلالة المؤمنة العاملة من أمة محمد صلى الله عليه وسلم إلى يوم القيامة.

المسألة الثانية: الجمع بين الروايات: وَجْهُ الجمع بين رواية مسلم: « إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ »، ورواية عمران بن حصين رضي الله عنه عند أبي داود: « لا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي يُقَاتِلُونَ عَلَى الحقِّ ظَاهِرِينَ عَلَى مَنْ نَاوَأَهُمْ حَتَّى يُقَاتِلَ آخِرُهُمْ المسِيحَ الدَّجَّالَ ». أن رواية مسلم عممت الظهور من حيث أنواعه وأشكاله وأطلقته في الزمان إلى يوم القيامة، أما رواية أبي داود فخصصته بالظهور على من ناوأهم، وقيدته في الزمان إلى قتال الدجال، فبينت أن هذا النوع الخاص من الظهور « عَلَى مَنْ نَاوَأَهُمْ » مستمر إلى قتال الدجال، وأن ما بعد قتال الدجال سيكون مغايراً لما قبله.

---

(١) القاموس المحيط صـ١١٩٦، مادة « ل أ ي ».

(٢) سورة آل عمران: ١١١.

وفي هذا إشارة واضحة لانعدام القتال بعد ذلك، وبشارة للأُمَّة بأن الظهور فيما بعد ذلك هو ظهورٌ للحق على العالم أجمع .

وهذا لا يعني انعدام المناوأة بعد قتال الدجال، فإن المناوأة باقية فيما بعدُ بنص الروايات الأخرى، ولكنها مناوأة مع ضعف في العَدَد والعُدَد، فقد قال صلى الله عليه وسلم: « لا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي يُقَاتِلُونَ عَلَى الحقِّ، ظَاهِرِينَ إِلَى يَومِ القِيَامَةِ » . فانظر كيف أثبتت الرواية الظهور إلى يوم القيامة وتركت القتال مطلقاً، ولم تعطف بين العبارتين بـ« الواو » .
والروايات فيما عدا ذلك كالآتي :

١- رواية ثوبان بن بجدد رضي الله عنه: « لا تَزَالُ طَائفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الحقِّ لا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ وَهُمْ كَذَلِكَ »[(١)]، فهذه الرواية ذكرت الظهور ولم تورد القتال .

أما لفظ « حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ » فيقول ابن حجر راداً على ابن بطال حين ذكر أن الطائفة التي تبقى على الحق تكون ببيت المقدس إلى أن تقوم الساعة: « لَيْسَ فِيمَا احْتَجَّ بِهِ تَصْرِيح إِلَى بَقَاء أُولَئِكَ إِلَى قِيَام السَّاعَة، وَإِنَّمَا فِيهِ: « حَتَّى يَأْتِي أَمْر الله »، فَيَحْتَمِل أَنْ يَكُون المرَاد بِأَمْرِ الله مَا ذُكِرَ مِنْ قَبْض مَنْ بَقِيَ مِنْ المُؤْمِنِينَ . وَظَوَاهِر الأَخْبَار تَقْتَضِي أَنَّ المَوْصُوفِينَ بِكَوْنِهِمْ بِبَيْتِ المَقْدِس أَنَّ آخرهمْ مَنْ كَانَ مَعَ عِيسَى عليه السلام،ثُمَّ إِذَا بَعَثَ الله الرِّيح الطَّيِّبَة فَقَبَضَتْ رُوح كُلّ مُؤْمِن لَمْ يَبْقَ إِلا شِرَار النَّاس . . . وَذَلِكَ إِنَّمَا يَقَع بَعْدَ طُلُوع الشَّمْس مِنْ مَغْرِبهَا وَخُرُوج الدَّابَّة وَسَائِر الآيَات العِظَام، وَقَدْ ثَبَتَ أَنَّ الآيَات العِظَام مِثْل السِّلْك إِذَا انْقَطَعَ تَنَاثَرَ الخرَز بِسُرْعَة . . . وَقَدْ أَوْرَدَ مُسْلِم عَقِبَ حَدِيث أَبِي هُرَيْرَة مِنْ حَدِيث عَائِشَة مَا يُشِير إِلَى بَيَان الزَّمَان الَّذِي يَقَع فِيهِ ذَلِكَ . . . وَفِيهِ: « يَبْعَث الله رِيحًا طَيِّبَة فَتَوَفَّى كُلّ مَنْ فِي قَلْبه مِثْقَال حَبَّة مِنْ خَرْدَل مِنْ إِيمَان، فَيَبْقَى مَنْ لا خَيْر فِيه،

(١) صحيح مسلم في كتاب الفتن وأشراط الساعة: باب لا تقوم الساعة حتى تعبد دوس ذا الخلصة، برقم (٢٩٠٧) .

فَيَرْجِعُونَ إِلَى دِينِ آبَائِهِمْ »(١)، وَعِنْدَهُ فِي حَدِيثِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رَفَعَهُ: « يَخْرُجُ الدَّجَّالُ فِي أُمَّتِي » الحديث، وَفِيهِ: « فَيَبْعَثُ اللهُ عِيسَى بْنَ مَرْيَمَ فَيَطْلُبُهُ فَيُهْلِكُهُ، ثُمَّ يَمْكُثُ النَّاسُ سَبْعَ سِنِينَ، ثُمَّ يُرْسِلُ اللهُ رِيحًا بَارِدَةً مِنْ قِبَلِ الشَّامِ فَلا يَبْقَى عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ أَحَدٌ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَيْرٍ أَوْ إِيمَانٍ إِلا قَبَضَتْهُ »، وَفِيهِ: « فَيَبْقَى شِرَارُ النَّاسِ فِي خِفَّةِ الطَّيْرِ وَأَحْلامِ السِّبَاعِ، لا يَعْرِفُونَ مَعْرُوفاً وَلا يُنْكِرُونَ مُنْكَراً، فَيَتَمَثَّلُ لَهُمُ الشَّيْطَانُ فَيَأْمُرُهُمْ بِعِبَادَةِ الأَوْثَانِ، ثُمَّ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ » فَظَهَرَ بِذَلِكَ أَنَّ المُرَادَ بِأَمْرِ اللهِ فِي حَدِيثِ: « لا تَزَالُ طَائِفَةٌ » وُقُوعُ الآيَاتِ العِظَامِ الَّتِي يَعْقُبُهَا قِيَامُ السَّاعَةِ وَلا يَتَخَلَّفُ عَنْهَا إِلا شَيْئاً يَسِيراً، وَيُؤَيِّدُهُ حَدِيثُ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ رَفَعَهُ: « لا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي يُقَاتِلُونَ عَلَى الحَقِّ، ظَاهِرِينَ عَلَى مَنْ نَاوَأَهُمْ حَتَّى يُقَاتِلَ آخِرُهُم الدَّجَّالَ »»(٢).

وعليه يكون لفظ: « حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ » عاماً في قتال الدجال ونزول عيسى ابن مريم عليه السلام وقيام الساعة، ويكون التقييد بشيء من ذلك بحسبه مما ورد في الروايات الأخرى، فالقتال يقيد منتهاه بقتال الدجال ونزول عيسى عليه السلام، والظهور منتهاه بالريح الطيبة يوم القيامة.

وما يحكم به على هذه الرواية يرد على غيرها من الروايات التي قيدت الظهور والنصر بلفظ: « حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ ».

٢– رواية عقبة بن عامر رضي الله عنه: « لا تَزَالُ عِصَابَةٌ مِنْ أُمَّتِي يُقَاتِلُونَ عَلَى أَمْرِ اللهِ، قَاهِرِينَ لِعَدُوِّهِمْ، لا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ، حَتَّى تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ وَهُمْ عَلَى ذَلِكَ ».

ففي هذه الرواية يحتمل أن يكون لفظ: « يُقَاتِلُونَ » مطلقاً والتقييد قاصر على ما بعده من العبارات، ويحتمل أن يكون مقيداً أيضاً بما ورد في آخرها: « حَتَّى تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ

(١) صحيح مسلم في كتاب الفتن وأشراط الساعة: باب في خروج الدجال ومكثه في الأرض ونزول عيسى، برقم (٢٩٤٠) .

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري (١٦/ ٤٠٣) في كتاب الفتن: باب تغير الزمان حتى تعبد الأوثان، برقم (٧١١٦) .

وَهُمْ عَلَى ذَلِكَ ». فإن كان مطلقاً زال ما يظهر من التعارض مع رواية: « حَتَّى يُقَاتِلَ آخِرُهُمْ المسِيحَ الدَّجَّالَ ».

وإن كان مقيداً، فلا يبعد أن يكون قوله: « حَتَّى تَأْتِيَهُمْ السَّاعَةُ » مراداً على حقيقته (ظاهر اللفظ) أو على المجاز، فإن كان مراداً على المجاز فالمراد علاماتها، فيزول بذلك أيضاً ما ظاهره التعارض.

فإذا كان مراداً على حقيقته فلا يبعد أن يكون المراد بـ« الساعة » أحد أمرين: إما يوم القيامة أو ساعتهم كما ذكر ابن حجر رحمه الله حيث قال: « حَتَّى تَأْتِيهِمْ السَّاعَة: سَاعَتهمْ هُمْ، وَهِيَ وَقْت مَوْتهمْ بِهُبُوبِ الرِّيح، وَاَللَّه أَعْلَم »[١].

ويبعد على كلا القولين أن يراد المعنى على حقيقته، لمجموع الأحاديث النافية للقتال بعد قتال الدجال ونزول عيسى عليه السلام، والتي منها رواية: « حَتَّى يُقَاتِلَ آخِرُهُمْ المسِيحَ الدَّجَّالَ »، وحديث مسلم في يأجوج ومأجوج الذي سيرد طرف منه لاحقاً.

إلا إن كان المراد بالقتال بعد الدجال ما كان منه على جهة المجاز، وهو ما كان مع استسلام العدو ودون مدافعة، كما كان في فتح مكة مثلاً. فالقتال من أفعال المشاركة، وهو على ذلك حاصل حقيقة قبل نزول عيسى عليه السلام، وحاصل مجازاً (دون مشاركة) بعد نزوله.

٣- رواية جابر بن عبد الله رضي الله عنه: « لا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي يُقَاتِلُونَ عَلَى الحَقِّ ظَاهِرِينَ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ - قَالَ - فَيَنْزِلُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ عليه السلام، فَيَقُولُ أَمِيرُهُمْ: تَعَالَ صَلِّ بِنَا، فَيَقُولُ: لا، إِنَّ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ أَمِيرٌ لِيُكْرِمَ اللهُ هَذِهِ الأُمَّةَ ». ومع أن هذه الرواية أثبتت القتال إلى يوم القيامة إلا أن العبارة التالية في الجزء الثاني من الرواية قيد أولها بنزول عيسى عليه السلام، فالحظ حرف العطف « الفاء » في قوله: « فَيَنْزِلُ »، وهو يفيد

---

(١) فتح الباري (١٦ / ٤٠٣) في كتاب الفتن: باب تغير الزمان حتى تعبد الأوثان، برقم (٧١١٦).

الترتيب مع التعاقب . فعلم بذلك أن التعلق بيوم القيامة مجازي، فليس المراد ذات يوم القيامة وإنما علاماته المتعاقبة، والتي منها نزول عيسى عليه السلام التي قيد الحديث القتال به .

ويُعْتَرَضُ على هذا بحديث مسلم الذي ورد فيه أن قتل الدجال يعقبه خروج يأجوج ومأجوج، فقتال الدجال وقتله ليس هو آخر المطاف !!

ويجاب عن ذلك من الحديث ذاته، فقد قال صلى الله عليه وسلم: « فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ بَعَثَ اللهُ المسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ، فَيَنْزِلُ عِنْدَ المنَارَةِ الْبَيْضَاءِ شَرْقِيَّ دِمَشْقَ . . . فَلا يَحِلُّ لِكَافِرٍ يَجِدُ رِيحَ نَفَسِهِ إِلا مَاتَ، وَنَفَسُهُ يَنْتَهِي حَيْثُ يَنْتَهِي طَرْفُهُ، فَيَطْلُبُهُ [١] حَتَّى يُدْرِكَهُ بِبَابِ لُدٍّ فَيَقْتُلُهُ . . . فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ أَوْحَى اللهُ إِلَى عِيسَى: إِنِّي قَدْ أَخْرَجْتُ عِبَاداً لِي لا يَدَانِ لأَحَدٍ بِقِتَالِهِمْ، فَحَرِّزْ عِبَادِي إِلَى الطُّورِ . وَيَبْعَثُ اللهُ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ . . . فَيَرْغَبُ نَبِيُّ اللهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ، فَيُرْسِلُ اللهُ عَلَيْهِمْ النَّغَفَ فِي رِقَابِهِمْ، فَيُصْبِحُونَ فَرْسَى كَمَوْتِ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ، ثُمَّ يَهْبِطُ نَبِيُّ اللهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ إِلَى الأَرْضِ فَلا يَجِدُونَ فِي الأَرْضِ مَوْضِعَ شِبْرٍ إِلا مَلأَهُ زَهَمُهُمْ وَنَتْنُهُمْ »[٢] فالحديث أثبت أنه لا يجد ريح نَفَسِه عليه السلام كافر إلا مات، ثم أثبت أن المسلمين سيلجأون إلى الطور، وأنه لن يكون بين المسلمين وبين يأجوج ومأجوج قتال بوحي من الله عز وجل إلى عيسى عليه السلام، ثم يبيدهم الله سبحانه وتعالى عن آخرهم . ويؤكد ذلك أيضاً آخر رواية مسلم السابقة وما أورده الترمذي، حيث جاء عن يأجوج ومأجوج: « ثُمَّ يَسِيرُونَ حَتَّى يَنْتَهُوا إِلَى جَبَلِ بَيْتِ مَقْدِسٍ، فَيَقُولُونَ: لَقَدْ قَتَلْنَا مَنْ فِي الأَرْضِ فَهَلُمَّ فَلْنَقْتُلْ مَنْ فِي السَّمَاءِ، فَيَرْمُونَ بِنُشَّابِهِمْ إِلَى السَّمَاءِ فَيَرُدُّ اللهُ عَلَيْهِمْ نُشَّابَهُمْ مُحْمَرّاً دَماً »[٣]، فهم يظنون أنهم قتلوا كل من في الأرض فلا يقاتلون بعد ذلك أحداً .

---

(١) أي يطلب عيسى ابنُ مريم عليه السلام الدجالَ .

(٢) صحيح مسلم (٩ / ٢٩٠) في كتاب الفتن وأشراط الساعة: باب ذكر الدجال وصفته وما معه، برقم (٢٩٣٧) . وقد اقتصرت من الحديث على موضع الشاهد مختصراً تجنباً للإطالة .

(٣) سنن الترمذي (٦ / ٥٠٤) في كتاب الفتن: باب ما جاء في فتنة الدجال، برقم (٢٢٤٠) .

وآخر هذا الحديث يثبت التتابع الذي استنبطته من حديث « لا تزال طائفة »، فقد أثبت ظهور المسلمين دون منازع ونزول البركة في الأرض، ثم الريح الطَّيبة التي تقبض المؤمنين قبل قيام الساعة، فلينظر .

إذا تأكد ما سبق - من ظهورهم على العالم أجمع بعد قتال الدجال - فهذا يرد قول من فسر هذه الطائفة بالغرباء الذين ذكرهم الرسول صلى الله عليه وسلم في الحديث: « إِنَّ الإِسْلامَ بَدَأَ غَرِيباً وَسَيَعُودُ غَرِيباً كَمَا بَدَأَ، فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ »(١)، إذ الغربة في هذا الحديث لها معنى يخالف حديث « لا تزال طائفة ... » من حيث الزمان والمكان والمضمون:

أ- فزمان الغربة وإن جاء في الحديث مطلقاً غير مقيد بوقت، إلا أن العودة في لفظ « سَيَعُودُ » لها عدد ويمكن أن تتكرر . أما الظهور في حديث الطائفة فهو ظهور مستديم لا يمكن أن يتجزأ أو يتعدد . فالطائفة موجودة وجدت الغربة أو لم توجد .

ب- أما المكان فقد جاء عاماً في معظم روايات الحديثين، والروايات التي خصصت المكان كان المكان فيها مختلفاً، فقد جاء في آخر الرواية المخصصة من حديث الغرباء:

« وَهُوَ يَأْرِزُ بَيْنَ المسْجِدَيْنِ كَمَا تَأْرِزُ الحَيَّةُ فِي جُحْرِهَا »(٢)، أما رواية أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه التي في حديث الطائفة ففيها: قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، وَأَيْنَ هُمْ ؟ قَالَ: « بِبَيْتِ المَقْدِسِ وَأَكْنَافِ بَيْتِ المَقْدِسِ ».

جـ- أما مضمون الغربة فغير مقيد بقلة عدد أو ضعف أو غير ذلك، ومهما يكن معنى الغربة فهي تخالف الظهور والقتال والنصر الذي ورد في حق الطائفة .

(١) سنن الترمذي في كتاب الإيمان: باب ما جاء أن الإسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً، برقم (٢٦٢٩)، وسنن ابن ماجه في كتاب الفتن: باب بدأ الإسلام غريباً، برقم (٣٩٨٦، ٣٩٨٧، ٣٩٨٨)، ومسند أحمد في مسند عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه من مسند المكثرين من الصحابة رضي الله عنهم، برقم (٣٧٧٥)، وفي مسند أبي هريرة رضي الله عنه من باقي مسند المكثرين، برقم (٨٨١٢)، وسنن الدارمي في كتاب الرقاق: باب الإسلام بدأ غريباً، برقم (٢٧٥٥) .

(٢) صحيح مسلم (١/٤٥٣) في كتاب الإيمان: باب بيان أن الإسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً كما بدأ، برقم (١٤٦) .

فالحديثان مختلفان من كل وجه، وليس هنا مقام بيان ذلك وتفصيله .

وفي الجملة فإن كون الدين غريباً في الأعم الأغلب لا يمنع من وجود طائفة لها ظهور ونكاية في العدو، كما لا يمنع من حفظ الله لطائفة يحفظ بها الدين، فالغربة معنوية، والظهور حسي .

المسألة الثالثة: الحديث في ظاهره التعارض مع جملة من الأحاديث:

١- ما أخرجه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « إِنَّ اللهَ يَبْعَثُ رِيحاً مِن الْيَمَنِ أَلْيَنَ مِن الحريرِ فَلا تَدَعُ أَحَداً فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ - وفي رواية: مِثْقَالُ ذَرَّةٍ - مِنْ إِيمَان إِلا قَبَضَتْهُ »[١] .

٢- ما أخرجه مسلم أيضاً عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « لا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى لا يُقَالَ فِي الأَرْضِ: اللهُ اللهُ »[٢] .

٣- ما أخرجه مسلم أيضاً موقوفاً على عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: « لا تَقُومُ السَّاعَةُ إِلا عَلَى شِرَارِ الخلْقِ، هُمْ شَرٌّ مِنْ أَهْلِ الجاهِلِيَّةِ، لا يَدْعُونَ اللهَ بِشَيْءٍ إِلا رَدَّهُ عَلَيْهِمْ »[٣] .

ووجه الجمع بينهما: أن الأحاديث المذكورة نصت على لفظ: « لا تَقُومُ السَّاعَةُ »، بينما نص حديث الطائفة المنصورة في بعض رواياته على لفظ: « يَوْمِ الْقِيَامَةِ » . وهذان اللفظان بينهما عموم وخصوص، فالأحاديث التي ورد فيها ذِكْرُ يوم القيامة تتكلم عن أحداث عدة تحصل فيها، أما الأحاديث التي تذكر قيام الساعة فهي تتكلم عن لحظة تسبقها أحداث وتعقبها أحداث، فوردت بالمضارع والماضي والمصدر « تقوم، قامت، قيام » . يقول النبي ﷺ : « لن تقوم الساعة حتى يكون قبلها عشر آيات؛ طلوع الشمس من

---

(١) صحيح مسلم (١ / ٤٠٩) في كتاب الإيمان: باب في الريح التي تكون قرب القيامة تقبض من في قلبه شيء من الإيمان، برقم (١١٧) .

(٢) صحيح مسلم (١ / ٤٥٥) في كتاب الإيمان: باب ذهاب الإيمان آخر الزمان، برقم (١٤٨) .

(٣) صحيح مسلم (٧ / ٧٦) في كتاب الإمارة: باب قوله صلى الله عليه وسلم: « لا تزال طائفة .. »، برقم (١٩٢٤) .

مغربها، وخروج الدابة، وخروج يأجوج ومأجوج...»[١] الحديث، فلعل قيام الساعة من أهوال يوم القيامة وأحداثها، ويسبق قيام الساعة علامات متلاحقة لا يُنفع بعدها عمل، كطلوع الشمس من مغربها والدابة والريح الطيبة. فربما كانت الريح الطيبة مما يحصل يوم القيامة قبل قيام الساعة والله أعلم.

قال الإمام النووي رحمه الله تعالى: «وَأَمَّا الحديثُ الآخَر «لا تَزَال طَائِفَة مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الحقّ إِلَى يَوْم الْقِيَامَة» فَلَيْسَ مُخَالِفاً لِهَذِهِ الأَحَادِيث، لأَنَّ مَعْنَى هَذَا أَنَّهُمْ لا يَزَالُونَ عَلَى الحقّ حَتَّى تَقْبِضهُمْ هَذِهِ الرِّيح اللَّيِّنَة قُرْب القِيَامَة وَعِنْد تَظَاهُر أَشْرَاطهَا، فَأَطْلَقَ فِي هَذَا الحديث بَقَاءَهُمْ إِلَى قِيَام السَّاعَة عَلَى أَشْرَاطهَا وَدُنُوّهَا المتَنَاهِي فِي الْقُرْب. وَاللَّه أَعْلَم»[٢].

ويؤكد ذلك أيضاً تتمة رواية عبد الله بن عمرو بن العاص الموقوفة ـ التي سبق ذكرها ـ، وفيها: «قال عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ شِمَاسَةَ المهْرِيُّ: كُنْتُ عِنْدَ مَسْلَمَةَ بْنِ مُخَلَّدٍ وَعِنْدَهُ عَبْدُ الله ابْنُ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ، فَقَالَ عَبْدُ الله: لا تَقُومُ السَّاعَةُ إلا عَلَى شِرَارِ الخلْقِ، هُمْ شَرٌّ مِنْ أَهْلِ الجاهِلِيَّةِ، لا يَدْعُونَ اللهَ بِشَيْءٍ إِلا رَدَّهُ عَلَيْهِمْ. فَبَيْنَمَا هُمْ عَلَى ذَلِكَ أَقْبَلَ عُقْبَةُ بْنُ عَامِرٍ رضي الله عنه، فَقَالَ لَهُ مَسْلَمَةُ: يَا عُقْبَةُ، اسْمَعْ مَا يَقُولُ عَبْدُ الله، فَقَالَ عُقْبَةُ: هُوَ أَعْلَمُ، وَأَمَّا أَنَا فَسَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: «لا تَزَالُ عِصَابَةٌ مِنْ أُمَّتِي يُقَاتِلُونَ عَلَى أَمْرِ اللهِ قَاهِرِينَ لِعَدُوِّهِمْ، لا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ حَتَّى تَأْتِيَهُمْ السَّاعَةُ وَهُمْ عَلَى ذَلِكَ»، فَقَالَ عَبْدُ اللهِ: أَجَلْ، ثُمَّ يَبْعَثُ اللهُ رِيحاً كَرِيحِ المسْكِ، مَسُّهَا مَسُّ الحرِيرِ، فَلا تَتْرُكُ نَفْساً فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ الإِيمَانِ إِلا قَبَضَتْهُ، ثُمَّ يَبْقَى شِرَارُ النَّاسِ عَلَيْهِمْ تَقُومُ السَّاعَةُ».

---

(١) سنن أبي داود في كتاب الملاحم، باب أمارات الساعة، برقم (٤٣١١).

(٢) انظر صحيح مسلم بشرح النووي (١/٤٠٩)، في كتاب الإيمان: باب في الريح التي تكون قرب القيامة تقبض من في قلبه شيء من الإيمان، برقم (١١٧).

فالحظ التعقيب بـ « ثُمَّ يَبْعَثُ » في قول عبد الله رضي الله عنه .

قال الحافظ ابن حجر : « المرَاد بِأَمْرِ الله : هُبُوب تِلْكَ الرِّيح، وَأَنَّ المرَاد بِقِيَامِ السَّاعَة : سَاعَتهمْ »[١] وعبارة ابن حجر تزيل الإشكال في رواية : « حتى تقوم الساعة » وتفسِّر معنى الرواية الأخرى : « **حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ** ».

فيكون ترتيب الحوادث على ذلك كالآتي : قتال الدجال هو آخر قتال فاصل بين الإسلام والكفر، ثم ينتهي بموت يأجوج ومأجوج طغيان الباطل وظهوره، ثم ظهور عالمي للإسلام، ثم يأتي أمر الله وهو الريح الطيبة، ثم تقوم الساعة على شرار الخلق .

« **وَهُمْ كَذَلِكَ** » :

هذا اللفظ ورد في بعض الروايات دون الأخرى كما سبق في ألفاظ الحديث . وهو يفيد أنهم لا يزالون كذلك دون أدنى انقطاع، ويؤكد أيضاً عدم الفتور، فهو تأكيد للزمان والحال .

وحكمة تلك العبارة ـ والله أعلم ـ أن لا يتوهم بعض الناس أن لفظ « لا يزال » يفيد إمكانية الانقطاع ثم الرجوع مرة أخرى .

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري (١٧ / ١٢٥)، في كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة : باب قول النبي صلى الله عليه وسلم : « لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق يقاتلون » وهم أهل العلم، برقم (٧٣١١) .

خاتمة

نلحظ من شرح الحديث كيف أن هذا الحديث أصل جامع لمحاسن الصفات والأخلاق، ولأصول الإيمان والإحسان في العبادة والتوجه إلى الله سبحانه وتعالى .

يجد فيه المطيع في أزمنة القوة والعزة دافعاً للمضي في الطاعة وعدم النكول، ودافعاً لتربية الذراري وتمرين الأبناء على ذلك المنهجَ القويم، حتى يبقى التزام الناس بدينهم واعتصامهم بحبل ربهم نقياً جيلاً بعد جيل إلى قيام الساعة .

ويجد فيه الضعيف المغلوب على أمره حافزاً ودافعاً قوياً للثبات في أزمنة الضعف والهوان، والمحن والفتن .

كما أن الحديث شامل لمعاني التكليف والتشريف معاً، وحصول التشريف لا يكون إلا بفعل التكليف، فمن عمل من الأمة بمقتضى الحديث حصل له ما فيه من العزة والكرامة، وبذلك يتم مقصود الحديث .

هذا، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

فهرس المراجع

١- اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم، أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية (٦٦١-٧٢٨هـ)، تحقيق: د. ناصر بن عبد الكريم العقل، دار عالم الكتب، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - الرياض، ط٧ (١٤١٩هـ - ١٩٩٩م) .

٢- إكمال المعلم بفوائد مسلم، عياض بن موسى اليحصبي (٥٤٤هـ)، تحقيق: يحيي إسماعيل، دار الوفاء - المنصورة، ط١ (١٤١٩هـ - ١٩٩٨م) .

٣-أهل الحديث هم الطائفة المنصورة الناجية، د. ربيع بن هادي عمير المدخلي، مكتبة الغرباء الأثرية - المدينة المنورة، ط٢ (١٩٩٢م) .

٤- تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري (١٢٨٣-١٣٥٣هـ)، عناية: علي محمد معوض وعادل أحمد عبد الموجود، دار إحياء التراث العربي ومؤسسة التاريخ العربي - بيروت، ط٢ (١٤٢١هـ-٢٠٠٠م) .

٥- تفسير الجلالين، جلال الدين المحلي (٧٩١-٨٦٤هـ) وجلال الدين السيوطي (٨٤٩-٩١١هـ)، دار الجيل - بيروت، ط٢ (١٤١٥هـ - ١٩٩٥م) .

٦-تقريب التهذيب، أحمد بن حجر العسقلاني (٧٧٣-٨٥٢ هـ)، درسه وقابله: محمد عوامة، دار الرشيد - حلب، ط٤ (١٤١٢هـ-١٩٩٢م) .

٧- تهذيب التهذيب، أحمد بن حجر العسقلاني، دار إحياء التراث العربي ومؤسسة التاريخ العربي- بيروت، ط٢ (١٤١٣هـ-١٩٩٣م) .

٨-تهذيب الكمال في أسماء الرجال، جمال الدين أبو الحجاج يوسف المزي (٦٥٤-٧٤٢ هـ)، تحقيق: د. بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط١ (١٤٠٥هـ-١٩٨٥م) .

٩- خلق أفعال العباد والرد على الجهمية وأصحاب التعطيل، محمد بن إسماعيل البخاري (٢٥٦هـ)، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط١ (١٤٠٤هـ-١٩٨٤م) .

١٠- الديباج على صحيح مسلم بن الحجاج، جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، تحقيق: بديع السيد اللحام، إدارة القرآن والعلوم الإسلامية - كراتشي، ط١ (١٤١٢هـ) .

١١- سنن ابن ماجه، محمد بن يزيد القزويني (٢٠٧-٢٧٥هـ)، تحقيق: محمود نصار، دار الكتب العلمية - بيروت، ط١ (١٤١٩-١٩٩٨) .

١٢- سنن أبي داود، سليمان بن الأشعث السجستاني (٢٠٢-٢٧٥هـ)، محمد محيي الدين عبدالحميد، المكتبة العصرية - بيروت، (١٤١٦هـ-١٩٩٥م) .

١٣- سنن الترمذي، محمد بن عيسى بن سورة الترمذي (٢٧٩هـ) . انظر الطبعة في تحفة الأحوذي .

١٤- سنن الدارمي، عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي (١٨١-٢٥٥هـ)، فواز أحمد زمرلي وخالد السبع العلمي، دار الريان للتراث - القاهرة ودار الكتاب العربي - بيروت، ط١ (١٤٠٧هـ-١٩٨٧م) .

١٥- سنن سعيد بن منصور، سعيد بن منصور بن شعبة الخراساني (٢٢٧هـ)، الدار السلفية ـ بومباي، ط١ (١٤٠٣هـ-١٩٨٢م) .

١٦- سنن النسائي، أحمد بن شعيب النسائي (٢١٤ - ٣٠٣هـ)، عناية: عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية - حلب ودار البشائر - بيروت، ط٤ (١٤١٤هـ-١٩٩٤م) .

١٧- شرح ألفية ابن مالك،عبدالله بن عبد الرحمن العقيلي«ابن عقيل»(٧٦٩هـ)،تحقيق:د.محمود مصطفى حلاوي،دار إحياء التراث العربي ومؤسسة التاريخ العربي،بيروت،ط٢ (١٤٢٠هـ-١٩٩٩م).

١٨- شرح سنن ابن ماجه القزويني، نور الدين عبد الهادي السندي الحنفي (١١٣٨هـ)، دار الجيل، بيروت، (١٩٨٠) . وهذه الطبعة غير مرقمة، فانظر الترقيم في سنن ابن ماجه .

١٩- شرف أصحاب الحديث، الخطيب البغدادي (٤٦٣هـ)، تحقيق: محمد سعيد خطيب أوغلي، مطبعة جامعة أنقرا - أنقرا، (١٩٧١م).

٢٠- صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري. انظر الطبعة في فتح الباري .

٢١- صحيح أبي عبد الله البخاري بشرح الكرماني، مؤسسة المطبوعات الإسلامية، القاهرة ط١ (١٣٥٦هـ-١٩٣٨م).

٢٢- صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (٢٠٦-٢٦١هـ). انظر الطبعة في صحيح مسلم بشرح النووي .

٢٣- صحيح مسلم بشرح النووي (المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج)، يحيى بن شرف النووي (٦٣١-٦٧٦هـ)، تحقيق: عصام الصبابطي وآخرين،دار أبي حيان، القاهرة،ط١(١٤١٥هـ-١٩٩٥م).

٢٤- صفة الغرباء، سلمان بن فهد العودة، دار ابن الجوزي ـ الدمام، ط٣ (١٤١٢هـ-١٩٩٢م) .

٢٥- الطبقات، مسلم بن الحجاج النيسابوري (٢٠٦-٢٦١هـ)، تقديم وتعليق: مشهور بن حسن ابن محمود بن سلمان، دار الهجرة ـ الرياض، ط١ (١٤١١-١٩٩١) .

٢٦- عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم آبادي (١٣٢٩هـ)، ضبط وتحقيق: عبدالرحمن محمد عثمان، دار الفكر - بيروت، ط٣ (١٣٩٩هـ-١٩٧٩م) .

٢٧- غريب الحديث، أبو عبيد القاسم بن سلام الهروي (٢٢٤ هـ)، تحقيق: د. حسين محمد محمد شرف، مجمع اللغة العربية - القاهرة، (١٤٠٤هـ-١٩٨٤م) .

٢٨- فتح الباري بشرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، دار أبي حيان - القاهرة، ط١ (١٤١٦هـ-١٩٩٦م) .

٢٩- القاموس المحيط، محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (٨١٧ هـ)، دار الفكر - بيروت، (١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م) .

٣٠- قطف الأزهار المتناثرة في الأخبار المتواترة، جلال الدين السيوطي، تحقيق: خليل محيي الدين الميس، المكتب الإسلامي - بيروت ودمشق، ط١ (١٤٠٥هـ-١٩٨٥م) .

٣١- لسان العرب، ابن منظور (٦٣٠-٧١١هـ)، دار المعارف - القاهرة، (١٩٨٠م) .

٣٢- لقط اللآلئ المتناثرة في الأحاديث المتواترة، محمد مرتضى الزبيدي (١٢٠٥هـ)، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية - بيروت، ط١ (١٤٠٥هـ-١٩٨٥م) .

٣٣- مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي (بعد: ٦٦٦هـ)، مكتبة لبنان - بيروت، (١٩٩٥م) .

٣٤- مسند الإمام أحمد، أحمد بن محمد بن حنبل (١٦٤-٢٤١هـ):

أ- الصفحات: دار المعارف - مصر، (١٩٨٠م) .

ب- الترقيم: دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط (١٩٩١م) .

جـ- التخريج: تحقيق: شعيب الأرنؤوط ومحمد نعيم العرقسوسي وإبراهيم الزيبق ومحمد أنس الخن وآخرين، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط١ (١٤٢١هـ-٢٠٠١م) .

٣٥- المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى وآخرون، المكتبة الإسلامية - استانبول، ط٢ (١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م) .

٣٦- معرفة علوم الحديث، الحاكم محمد بن عبد الله النيسابوري (٣٢١-٤٠٥هـ)، عناية: أ. د. السيد معظم حسين، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية - حيدر آباد، ط٣ (١٤٠١هـ-١٩٨١م) .

٣٧- نظم المتناثر من الحديث المتواتر، محمد بن جعفر الحسني الإدريسي الكتاني (١٢٧٤-١٣٤٥هـ)، دار الكتب العلمية - بيروت، (١٤٠٠هـ-١٩٨٠م) .